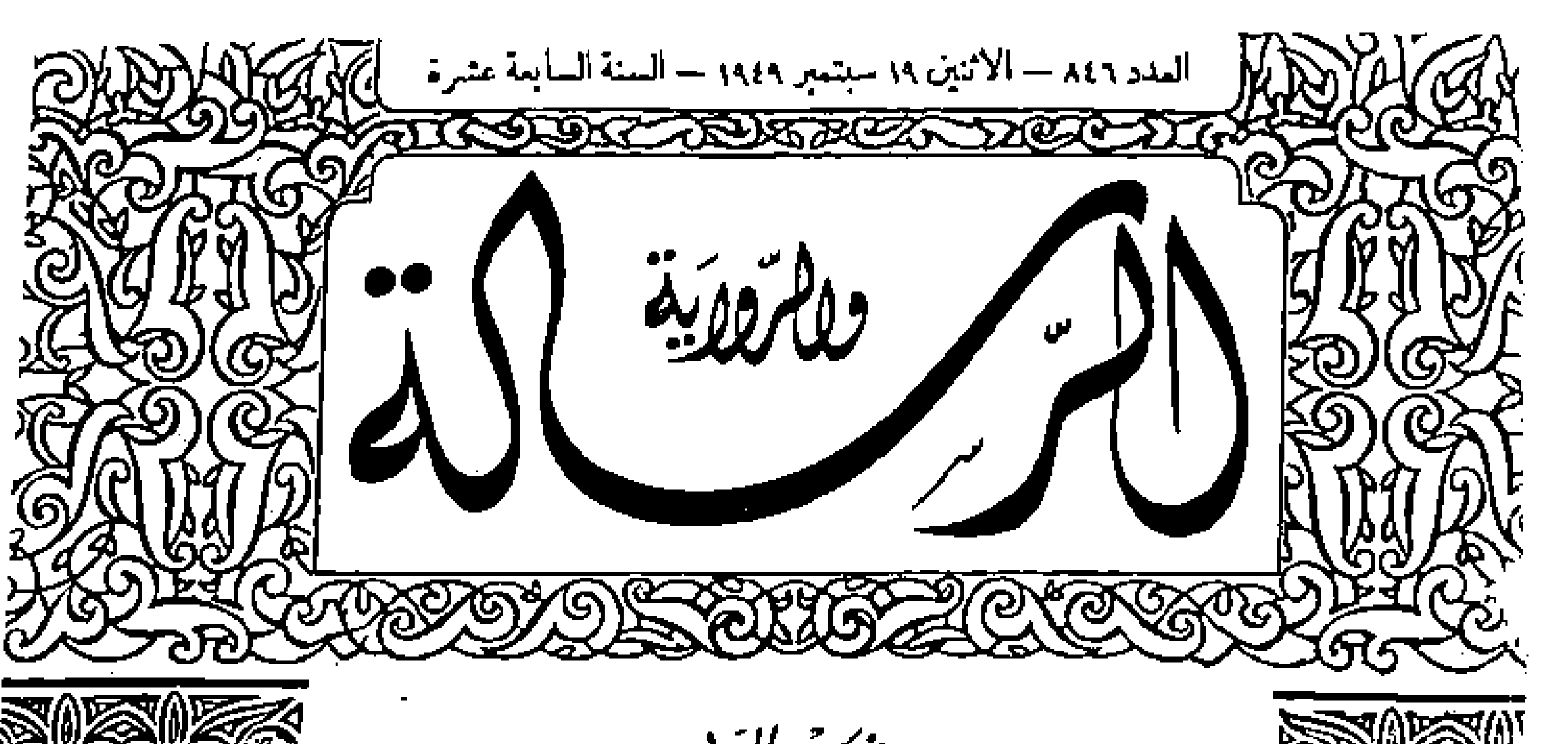


فهرس العدد

٣٣٠٢٣

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العـــــدد ٨٤٦ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة سنة ١٣٦٨ — ١٩ سبتمبر سنة ١٩٤٩» السنة السابعة عشرة

أخى صاحب «الرسالة»

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

أخرتنى الأسفار والأشغال من الاطلاع على الكلمة الكريمة التى تفضَّلتَ بها على الفصول الأربعة عشر التى كتبتُها لقراء الرسالة؛ فلعلك تقبل عذرى فى تأخير الجواب والشكر.

فأما رأيك فى الكاتب وفى فصوله فقد سرَّنى وحفزنى إلى أن أصدِّق ظنك بى ورجاءك فىَّ. وناهيك بشهادة الزيات وإعجابه بمقالات، وحسبك صاحب الرسالة كاتباً وشاعراً.

وقد عجبتَ وأَلِمتَ من الناس لا يُبالون «بكلام يُشرق فيه الحق، وعلاج يهدى إليه العقل»، وأعجبُ من هذا أن كثيراً من كتابنا وممن يتصدرون للتفكير والتحرير، يسيرون فى أقوالهم وأفعالهم سيرةً أصدقُ أسمائها أنها «الاستسلام للتيار»؛ فهم يرضون بكل بدعة، ويسايرون كل ضلالة، جرياً مع التيار، وسيراً مع الحياة، وخضوعاً للشهرة (المُودة). وإنَّ من نكد الدنيا أن تتقلب العقول والآراء مع المودة كما تتقلب أثواب النساء فى هذا العصر.

وشدَّ ما يُؤلم العاقلَ الناقدَ أن يتسمى هؤلاء السايرُون المستسلمون أحراراً وأن يهزءوا بكل من يدعو إلى رشد، أو ينذر قومه ألا يسيروا إلى الهاوية.

وأشد إيلاماً من هذا أن القادرين المتثبتين الداعين إلى المحافظة على ما عندنا من خير، ورد ما يأتينا من شر، تأخذهم أحياناً رهبة هذا الموكب، موكب العصر فى صخبه وضوضائه، ودعاويه وأهوائه، وفتنه وزخارفه، ويرهبون أحياناً هؤلاء السايرين للموكب يصفقون له، ويهتفون به، ويسخرون بكل من يعترض طريقه أو يتجنب السير فيه.

إن الخارجين على سنننا وآدابنا ليسوا فى حاجة إلى المطالبة بالحرية، فهم يظفرون بها فى كل مكان؛ إنما يطلب الحرية فلا يظفر بها هؤلاء المستمسكون بتاريخهم وآدابهم. أضرب مثلاً للمرأة التى تسبح فى البحر وترود على شاطئه عارية أو كالعارية، لها الحرية أن تسبح وترود أنى شاءت ومتى شاءت؛ ولكن المسكينة التى تريد أن تستمتع بماء البحر وهوائه وشمسه وتأبى أن يراها الناس فى لباس البحر، لا تجد حريتها ولا تمكَّن مما تريد، ولا يحميها القانون ليسر لها الاستمتاع بالبحر، ولا يخصص لها مكان أو زمان لتستمتع بحريتها وتستمسك بأخلاقها.

والأمثال فى هذا كثيرة والقياس يسير والخطب جليل.

رأى بالأمس وزير معارفنا أن يصون بنات الأمة بما يصون به بناته، فصاح به دعاة الحرية من كل جانب، وأخذه هزؤ النساء والرجال على أساليب شتى. وما نجد فى بلدنا داعياً يملك عقله وقلبه فيدعو إلى ما يراه حقاً وخيراً إلا كان أحدوثة الساخرين والساخرات واتخذته الصحف تفكهة لقرائها ومُضحكة.

وقد كتب كاتب من كبار كتابنا يسمى هذا الوزير وزير

التقاليد ويسخر به ، ويتحدث عن الحياة وقضيتها ، ويتكلم عن الأيام والساعات والدقائق والثواني ، وهي ماضية سراعاً ، ونحن ماضون معها لا نستطيع لها رداً . فلا نستطيع لأمر وقفاً ولا تغييراً

لست أدري فيم عقلنا وفكرنا إن حملنا تيار الساعات والدقائق راضين بكل واقع مستسلمين لكل حدث . إنما يذهب التيار بالأجسام الجامدة أو الميتة ، فأما الحي فلا يستسلم للتيار وبه قوة ، ولا يرضى الغرق وفيه رمق .

إن علينا أن نسيطر على الخليقة ونسخرها كما تشاء جهد طاقتنا ، وإن علينا أن نسيّر الحياة بعقولنا وعلومنا ، وأن نقهرها لإرادتنا ما استطعنا . فما هذه الدعوة إلى الاستسلام بل المضيّ إلى الموت ؟ وما هذا الخدوع للعبودية باسم الحرية ؟

إن الاستعباد قبيح في كل صوره ؛ ولكنه أقبح ما يكون حين يصيب النفوس ، فتخضع للواقع ، وتحتج بسير الزمان . إن الحر يفكر ويقول ويعمل كأن إرادته من قضاء الله ، وجهادَه من قدرة الله ، ساخراً بسلطان الزمان والمكان — ليخلق تاريخاً ، وينشئ جيلا ، ويسيّر الزمان والمكان . وهل خلد في تاريخ البشر إلا من تصدى للباطل يدمغه بالحق ، والشر يغلبه بالخير ، والفساد يمحوه بالصلاح ؟ وهل دعا نبي أو نادى مصلح إلا بصد التيار الجاري ، ورد الأحداث السائرة ، وتغيير السيرة الفاسدة .

إن الذي يريح نفسه وعقله من تكاليف الإصلاح ومشقة الجهاد يساير الزمان ، ويحتج بالمكان ، ويمضي مع الماء أو الريح ؛ ولكن قضلنا يعملون كل صعب ، ويساورن كل مشقة ، ويستصغرون كل هول ، ويسخرون من كل سخرية ؛ ليثبتوا بالحق وفي الحق على مضي الأيام والساعات والدقائق والثواني كالطود في مجرى السيل ، والحق في معترك الأباطيل .

يا أخي الزيات : إنها لفتنة ، وإنها لمحنة . وسيمضي الأحرار لا العبيد ، يقولون ويفعلون ويجاهدون حتى يبلغوا غايتهم أو يقضوا نحبهم على السبيل قاصدين وعلى الله متوكلين .

وإني لأدعوك وأمثالك من الفئة القليلة الناصبة للحق ، الناصرة للخير ، إلى الكتابة ، والصدع بالدعوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأداء الأمانة ، على رغم الزمان ، وعبيد الزمان .

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

(الإسكندرية) عبد الوهاب عزام

صور من الحياة :

جنـــــة الشيطان !

للأستاذ كامل محمود حبيب

« يا لؤم البحر ... سلخك من ثيابك جزار ! »
مصطفى صادق الرافعي

لشد ما شاقني أن أقضي ساعة من العمر إلى جوارك — أيها البحر — ساعة أفزع فيها من وقدة القيظ إلى ريحك النضر الرطيب ، أسعد بالراحة من عناء العمل ، وأسكن إلى الهدوء من صخب الحياة ، وأتحلل من دواعي العيش ، وأنفض وعثاء الطريق! فأنا — دائماً — أجد فيك هدوء البال ، وراحة النفس ، وصحة البدن ... إنني ما زلت أذكر يوم اللقاء الأول — أيها البحر — يوم أن كنت فتى غضَّ الإهاب ، ريّق العود ، بسّام الخواطر ، لا تشغلني نوازع الحياة ، ولا ترمضني سفعات الرزق ، لا أرى الدنيا سوى متعة الروح ولذة القلب وفرحة النفس ... ورأيتك — لأول مرة — فراعني موجك الثائر وهو يتلاطم في قسوة ويتهارش في عنف ، وأزعجني هديرك الصاخب وهو يتصاعد في عنفوان لا يهمد ، وأخذتني روعة المنظر الماثل حين كلَّ البصر من أن يحيط بنواحيك ، وحين عجز الخاطر من أن يلم بأطرافك ، وسحرتني الشمس وهي تكاد تتوارى خلف الأفق ، فتندفع تبكي أفولها بعبرات من دم أحمر قان يتألق على صفحة اللجة التي توشك أن تتردّى فيها ... فوقفت أتأمل في صمت ، وقد غلبتني الحيرة ، وسيطر عليّ الذهول ... فما استطاعت الكلمات أن تتحدث عن بعض خلجات فؤادي ، لأن عالمك أدهشني يوم اللقاء الأول ، أيها البحر ... وكنت حينذاك شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه في غير عناء وأبلغه في غير عنت . وللشباب أساليب شيطانية ماكرة تؤرثها عزيمة جياشة لا يعبث بها وهن ولا يقعدها ضعف ، فانسربت في مسالك الطيش أنعم بأفانين اللذة وأرشف رضاب السعادة ، هنا ... هنا على شاطئك الجميل الجذاب ، أيها البحر .

والآن — وقد انطوت سنوات وسنوات منذ يوم اللقاء الأول — ما زلت أحس بالذكرى الرفافة تتقد في خاطري ، لأنني كنت شاباً عزباً أحتال للأمر فأنفذ إليه .

واليوم جئت إليك بقلب الرجل وعقل الفيلسوف ، فماذا رأيت فيك ، أيها البحر ؟

وجلست بإزائك أياماً أستشف حكمتك من خلال الموج وأقرأ خواطرك من ثنايا الزبد وأتسمع كلماتك من بين الصخب ، وإن قلبي ليفتقد جلالك الأول لأنه شاب فزهد بحس سحرك القديم .

وأخذ القوم يندون إليك أرجالا خلف أرجال وزمراً من وراء زمر ، فتطل لتطمهم على همساتك وتلاشت نبرات صوتك الرقيقة خلال الضجة العنيفة على الشاطئ . فناءك أن تعجز — وأنت عظيم — عن أن تسكت هذا اللجب ، فثار موارك واضطربت أمواجك ، ووقف الجمع حيالك ينظرون فى عجب ومن أمامهم (الراية السوداء) تترنح بالخطر العظيم . ثم استخفك الطرب حين رأيتك تظفر بهذا الجمع فتنفث فى نفوسهم الفزع والرهبة ، فتبرت أياماً تقهقه بضحكات ساخرة مخيفة ، وطالت ثورتك فرحت أحدث نفسى : « غداً ، حين ينفرط عقد الصيف ، يعود إليك — أيها البحر — الهدوء وتشملك السكينة لأنك تكون — إذ ذاك — قد نفضت عن نفسك همّ هذا المشهد .

وسمعتك — أيها البحر — تحدثني من خلال ثورتك قائلاً :

« هذا الشاطئ كان هاجعاً يغط فى نومه فلما دبت فى جنباته أول سمات النشاط والحركة هب الشيطان من سباته العميق ينشر زخرفه على أعين الناس وهو يترنم بالنشيد الأرضى الساحر فانطلق الحشد صوبه يتهافتون على بضاعته فى غرور ولا عقل ، وما زخرف الشيطان إلا اللذة والشهوة والفجور ...

« هذا الشاطئ هو الجنة الشيطانية التى تضم ألف آدم وألف حواء ، ولكنها لا تضم من نبتة واحدة ولا تزدهى بثمرة ، إلا ورقة التوت ... ورقة صاغها الشيطان بيده الصناع ليتوارى خلفها ثم يندفع من بين ثناياها يبذر غراس الإثم فى القلوب الفاجرة فتؤتى أكلها — بعد حين — ندماً وحسرة . والشاطئ فى الصيف ملعب الفجور ومسرح الفسق وصنم اللهو

« لا عجب ، فإن حرارة الشاطئ لا تصهر إلا الفضيلة والإباء ، وإن مائى — ماء البحر الملح — لا يغسل إلا الشهامة والكبرياء ، وأن نسائم الظهيرة لا تزيح من الأنفس سوى الأنفة والعفة ! ...

« هذه اللحوم البشرية العارية جاءت تطلب الصحة والعافية والجمال فارتدغت فى حمأة الرذيلة ، وتلك النظرات الزائغة تطوف بأرجاء المكان وفيها نهم ما يشبع وبها نهمة ما تترفع ، وهى — واتما — لا ترعوى من حياء ولا ترتدع من خجل . وهذه المباذل الإنسانية تنحط إلى حيوانيتها حين تعرى من الدين والشرف

« إنى أتقزز من هذا الفتى الذى جاء يغسل قاذورات جسمه ليكشف عن أدران نفسه

« وأمقت هذه الفتاة الطائشة حين تنفلت — بين الحين والحين — من بين يدى الرقيب ، وهو هين لين ، لتسمر ساعة إلى فتى من فتيان الشاطئ ؛ تعرفت إليه فى نزوة من نزوات القلب ، واطمأنت إليه فى ثورة من ثورات الشباب ، فأغراها بحديثه ، وخلبها بشبابه . والتاث عليها الأمر فعميت عن أن تراه وهو يجرها إلى هاوية من العبث والخطيئة ، والشيطان من بينهما يُزوّق الحديث ويمهد السبيل » . وقلت لى ، أيها البحر :

« أما هذا الرجل ، فهو قصة الشاطئ وروح الشر وبلاء الإنسانية . هو رجل جاوز سن الشباب ، فلمعت فى فوديه شعرات بيض علامة العقل فى رأس أحمق ، وعبثت أنامل الأيام بنضارته فسطرت خطوط الرزانة على جبين فارغ . هو أب وزوج ، ولكن أنانية عاصفة دفعت به إلى هنا ليعيش وحده عمراً من عمره يبتغى الفراغ من أعباء الحياة وينشد الراحة من قيود الأسرة ويطلب النجاء من أغلال الدار . ومن ورائه زوجته وأولاده يلهبون فى لظى القاهرة ، ويتحرقون فى عذاب الوحدة ، ويتقلبون فى ألم الفراق

« وبهره منظر البحر وهو يموج فى آذيه ، وخلبته هبات النسيم وهى عليلة ندية ، وسحرته الأجسام العارية وهى تتألق فى ضياء الشمس ، ووسوس له الشيطان فانطلق الرجل فى تيّانه يذرع الشاطئ وإن فى عينيه الظمأ والفجور

« يا لضعة الإنسان إن خلع إنسانيته ليصبح وحشاً كاسراً لا يؤمن إلا بشريعة الناب والظفر !

« واطمأن الرجل — بعد لأى — إلى فتاة من فتيات الشاطئ ... فتاة فى ريعان الشباب ورونق الحياة وجمال الأنوثة ، تقضى ضحاية يومها بين طفلين تحت مظلة ، فهو يرمقها بنظرات شرهة جائعة ، وهى تختلس إليه نظرات متكسرة . وابتسم هو وابتسمت . ثم انطوت الأيام فإذا الفتاة قد أمهلت وانقادت ، وإذا هى إلى جانب صاحبها يتحدثان فى غير رقبة ولا حذر وهى أنها زوجة وأم ؛ زوجة موظف صغير طارت من بيته لتنعم هنا بالحرية بين طفليها . لقد نبذت زوجها هناك فى القاهرة يذوق مرارة الوحدة والحرمان فى الدار ، ويعانى عنت العمل فى الديوان

ويقاسي لظى الهاجرة في المدينة . نبذته هناك ليدخر لفتاتها ثمرات جهده وكدّ عقله وراتب شهره .

« ليت شعري ، ماذا عسى أن تقول الخائنة لزوجها إن هي جلست إليه في خلوة تحدثه حديث البحر ؟ وماذا عسى أن الزوج الوضيع لزوجته المسكينة ؟

غداً تعود الزوجة إلى دارها وفي قلبها ذكرى ، ويعود الزوج إلى أهله وفي فؤاده صور » .

ثم تلاشت همساتك — أيها البحر — بين صيحات الجمع الزاخر وهو ينادي : أن انقذوا الغريق . فنظرت فرأيت كهلاً من كهول الشاطئ، تصفعه الأمواج في غير رحمة ويجرفه البحر في غير شفقة ، وقد خارت قوته وتفد جهده ، وأبناؤه على الشاطئ يصرخون في لوعة وأسى : أبي — أبي ! وزوجته تصك وجهها في جزع وحزن . . تدافع الشباب يشقون أمواج البحر في قوة وعزيمة ، ثم حملوا الرجل إلى الشاطئ بعد جهد فإذا هو جثة هامدة

يا لقلبي ! لقد جاء الناس يطلبون الصحة والعافية والجمام فإذا هم بين غريق في الشهوات وغريق في اليم ...

كامل محمود ...

فن القـــــــــراءة

للأستـــــــاذ إيليا حليم حنا

القراءة فن له أصوله وقواعده كأي فن آخر ، وهي أداة تثقيف واستزادة في كل الفنون المتنوعة الأخرى . وقد أصبح لها الآن عيادات ملحقة بالجامعات في أمريكا اسمها (عيادات المطالعة) غرضها إصلاح عيوب القراءة والإرشاد إلى أصولها وقواعدها . هذا بالإضافة إلى آلاف الكتب والمقالات التي عالجت هذا الفن وما زالت تمدنا بخبرة رجال التربية وعلم النفس وتجاريبهم في ضبط أصول هذا الموضوع الحيوي الذي لم يكتب عنه في العربية إلا القليل من المقالات التي لا تتعدى أصابع اليدين .

إننا ما زلنا لا نولي درس المطالعة العناية الكافية في مدارسنا . والذين يقومون بتدريس هذه المادة المهمة يرون أنها فرع تافه من فروع اللغة العربية ، وقلما تراهم كثيراً ما يشغلون وقتها بقواعد اللغة أو التطبيق ، وذلك لأننا لا نعد مدرس اللغة الإعداد الكافي لتدريس هذه المادة المهمة ، وإننا نجهل حتى الآن أن القراءة فن يجب أن يدرس على الأقل للذين تعدهم للتدريس فيعرف المعلم كيف يعلم الطفل القراءة في مراحل نمو العقل ومتى يقوم بتعليم القراءة الجهرية والقراءة السرية والقراءة البطيئة والقراءة السريعة ، ويعرف أن الغرض من المطالعة تعويد الأطفال على حب القراءة وتربية ملكة الانتباه وسرعة الإدراك وإنماء قوة التفكير والقوة المتخيلة .

ويتكلم (الدكتور نيل رابت) رئيس قسم علم النفس بكلية (جورد دانهل) عن أهمية درس المطالعة في حياة الطالب فيقول (تعليم الطفل القراءة مهمة ذات مسئولية خطيرة تتطلب درجة عالية من المهارة في فن التدريس والثقافة)

إننا لا نشترط في مدرس المطالعة إلا أن يكون ملماً بفنون اللغة فيرهق التلاميذ الصغار بضبط أواخر الكلمات والكبار بالإعراب فيرى كل منهما درس المطالعة عبئاً ثقيلاً لا لذة فيه ، وهي الطريقة العتيقة المسئولة عن تنفيرنا من القراءة وكراهيتنا لها أثناء مرحلتنا الدراسية وبعدها .

القراءة الناطقة :

القراءة قد تكون ناطقة ولكنها غير مسموعة وإليك ما قالته الدكتورة (ستلاجنتر) رئيسة عيادة المطالعة بجامعة نيويورك : « إذا أردت أن تعرف هل تقرأ بصوت أو لا فالمس شفتيك بخفة وأنت تقرأ ، فإذا كانتا لا تتحركان فالمس عنقك عند أوتار الصوت ، فإن وجدتها تختلج قليلا فأنت تقرأ بصوت » .

ويلذ للطفل حتى سن الثامنة أو التاسعة أن يقرأ قراءة منطوقة جهرية لأنه يدرك أثناءها نبرات صوته ويتذوقها وقلما يجب أن نستغل حبه هذا للقراءة .

وفي هذه القراءة المنطوقة يستعمل الطفل عضلات النطق ويحرك شفتيه ويترقب لفهم المنطوق وبوساطتها يكون معجمه اللغوي . وهذه القراءة لازمة لتعليم الطفل في مراحل نموه الأولى لإتقان النطق وإخراج الألفاظ من مخارجها وضبطها بالشكل وجودة الإلقاء ، كما أنها تساعده في تلك المرحلة على محاولة فهم ما يقرأ لأن استعمال حاستين في القراءة أقوى من استعمال حاسة واحدة ؛ ففي القراءة الناطقة تصل رسالتان إلى الدماغ في وقت واحد فتصبح العبارة أقرب للفهم وأثبت في الذهن ، أي أنها تترك أثراً أعمق في طيات المخ . وهي تخلق الجرأة في الطفل وتعوده على الخطابة والتكلم في الجماعات . ولكن القراءة الصامتة تفضلها

في هجاء الكلمات لأنه فيها يكون غير مقيد بمستلزمات المطالعة الجهرية من جودة النطق وتنويع الصوت حسب المناسبات . والتلميذ في المطالعة الجهرية قد يخشى النقد فيقرأ دون أن يعي ما يقرأه .

والقراءة الناطقة المسموعة فن لازم لبعض الناس ؛ فهي وسيلة لإسماع الغير ما نقول بصوت عال واضح ونبرات تمثل فيها إحساساتنا وشعورنا . ويحتاج إليها الزعماء والخطباء والمحامون والمعلمون وأعضاء المجالس النيابية . ولكن هؤلاء لا يحتاجون إليها مطلقاً في قراءاتهم الخاصة . إننا إذا أردنا الاطلاع على التقدم العلمي والثقافات المختلفة لنجاري في التفكير العصر الذي نعيش فيه وننتفع بما نقرأ في حياتنا العملية فإننا نستعمل القراءة الصامتة ، لأن القراءة الناطقة قراءة بطيئة لا تستعمل بعد الناشئة إلا فيما نرغب أن نسمعه لغيرنا . والسبب في هذا البطء أنها تتقيد بالسرعة التي تنتج بها عضلاتنا الصوتية الصوت . ومعدل القراءة بها ١٢٠ كلمة في الدقيقة للشخص العادي الكبير .

ولا يخفى أن القراءة الجهرية تجهد العضلات الصوتية ويشعر بهذا كل من يستمر نصف ساعة يقرأ بصوت مرتفع ، ويعجز الشخص عن القراءة بصوت عال مدة تزيد على الساعة مع أنه يستطيع مواصلة القراءة الصامتة ساعات متوالية .

القراءة الصامتة :

القراءة الصامتة قراءة بصرية دون نطق ، تتعطل فيها وظيفة الأوتار الصوتية والشفاه ، ومدارها البصر والتركيز الذهني . وهي قراءة سريعة لأننا لا نقيدها إلا بالسرعة التي يعي بها العقل معنى ما نقرأه . وقد دلت تجارب الدكتور استارك Starch على أن سرعة القراءة الصامتة للطفل الذي في الثامنة من عمره كلمة أو كلمتان في الثانية ، أو ١٢٦ كلمة في الدقيقة ، أي أنه يكون أسرع من الشخص الكبير الذي يقرأ قراءة منطوقة . والطفل الذي في الثالثة عشرة من عمره يقرأ قراءة صامتة بمعدل أربع كلمات في الثانية أي ٢٤٠ كلمة في الدقيقة .

والقراءة الصامتة أكبر معين على فهم العبارات التي تقرأ والإلمام السريع بما تنطوي عليه من الآراء ، لأنه فيها ينطوي الإنسان على نفسه ويتجرد من عالمه الخارجي ، ويكون عقله مصدر للنشاط لا يشغله سماع اللفظ ورنين الصوت ومحاولة ضبط الكلمات بالشكل ، بل يشعر بحماسة ولذة لأن ما يقرؤه يملأ عقله وشعوره وحسه .

والقارئ الصامت يقتنص المعاني من أطراف الألفاظ ويلتقطها من خلال السطور ويقفز ببصره قفزاً فوق حروف الجر والعطف ... والأفكار السهلة المدونة لديه من قبل . وهو لا يرى الكلمات مركبة من حروف بل يراها صوراً يعرفها من مظاهرها العام . وهو أثناء القراءة لا يحمل الكلمات إلى عقله بل يمر عليها بنظره فيقفز معناها إلى عقله . وتتوقف سرعة استيعاب معاني الألفاظ على مبلغ تمكن الشخص من لغته ومن الموضوع الذي يقرؤه . وهو عندما يقرأ الجمل تتحول بسرعة إلى صور في عقله . فمثلاً عندما يقرأ هذه الجملة (أسرع الأسد خلف الرجل فأدركه وألقى به على الأرض وأخذ يمزقه بأنيابه ومخالبه) يراها بعين عقله صوراً لا ألفاظاً ؛ يرى ثلاث صور متلاحقة تمر مروراً خاطفاً في مخيلته ؛ يرى صورة الأسد يعدو مسرعاً وراء الرجل ، ثم الأسد يلقي بالرجل على الأرض ، ثم الأسد وقد جثم فوق الرجل يمزقه بأنيابه ومخالبه .

وعندما يجول القارئ الصامت بين بدائع الفن وآيات الأدب وحقائق العلم تنتقل نفسه لحظات إلى ما وراء عالم الحس وتنكب على الفكرة إنكباب العالم في معمله على أدواته يرصد الحقائق البارزة وتستيقظ فيه خصائص المخيلة ووظائف التفكير وراءه في نوبة توقد يحس بمعاني الكاتب حساً ويشعر بالحياة والحرارة في أفكاره .

ويتعود الطفل القراءة الصامتة إليه إن وضعنا بين يديه الكتب التي تمده بغذاء عقلي لا يثقل عليه هضمه ويتمشى مع مجهوده المعنوي في مرحلة النمو التي يمر بها ويثير ميوله ورغباته ويشبع غريزة حب الاستطلاع فيه كما يجب أن نعطيه الكتب الصغيرة التي لا تستغرق وقتاً طويلاً في القراءة حتى لا يسئمه طول الوقت وطول الموضوع فيلجأ إلى القراءة الجهرية ليتخلص من سأمه بسماع صوته الذي يساعده على التركيز الذهني الذي أوشك أن يفقده بطول مدة القراءة .

القراءة البطيئة :

(١) تطور السرعة في القراءة :

يتدرج الطفل في القراءة من بطيء إلى سريع ومن سريع إلى أسرع تبعاً لربط الكلمات بمدلولاتها ؛ وحينئذ يتمكن من أن

يقرأ الكلمة بدون أن يقطعها إلى حروف ويفهم معناها بدون تفكير . وتزداد سرعته في القراءة بوفرة محصوله اللغوى والذهني.

ونحن الكبار تزداد سرعتنا أيضاً بنضوجنا الذهني وسعة اطلاعنا ووفرة معلوماتنا وعكسنا من اللغة ومفرداتها ومدى اطلاعنا في الموضوع الذي نقرأه ؛ لذا نرى المبتدئين في بعض العلوم لا يسرعون في قراءتها لأن عدم الإلمام بها يلزمهم التوقف .

(ب) متى يلزم البطء في القراءة :

لا تدل القراءة البطيئة على شيء إلا على قلة المحصول اللغوى للفرد وعدم نضوجه الذهني . والقارىء البطيء غالباً ما يكون آلياً يحرك شفتيه عند القراءة أو سماعياً يقرأ بصوت مسموع لتنتقل الألفاظ من أوتار صوته إلى أذنيه .

والقراءة البطيئة من أكبر عيوب فن القراءة ولكنها تكون ضرورة لازمة في الحالات الآتية :

١ — عند القراءة التي يقصد بها التحليل والنقد .

٢ — في الكتب العلمية الدقيقة ككتب الطبيعة والفلك وعلم النفس .

٣ — في الكتب التي تقرأ لإشباع لذة وجدانية كالشعر والنثر الفني والأدب الراقي وكل ما يقرأ للتذوق .

والقارىء في هذه الحالات قد يقرأ بصوت مسموع بعض الفقرات أو الأبيات للاستمتاع بها ، وقد يعيد قراءتها عدة مرات للتمعن فيها أو استيعابها ولكنه يقرأ كل ما يراه مفهوماً قراءة سريعة خاطفة ليوفر الوقت لكل ما هو معقد يحتاج إلى الروية في التفكير والاستيعاب .

(ح) القارىء الضعيف (البطيء) :

١ — يقرأ كتاباً سهلا بسرعة تتراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ كلة في الدقيقة .

٢ — يقرأ كلة ويقف عند كل لفظ تقريباً لأنه ضيق المرنة كما أن محصوله اللغوى ضئيل .

٣ — يقرأ الكلمة أو الجملة مرات حتى يفهمها جيداً باستجماع كل مدلولاتها في ذهنه .

٤ — يقرأ بعينيه وشفتيه ولسانه وحنجرته وأوتاره الصوتية

٥ — لا يركز تفكيره تركيزاً كاملا بل ينشغل كثيراً بالعالم الخارجي من ضوضاء ومناظر وحوادث لأنه يتلكأ ويتباطأ في الوقوف عند كل كلة .

٦ — غالباً ما يترك ما يقرأه دون أن يتم قراءته وأقصى ما يستطيع أن يقرأه في المرة الواحدة لا تزيد على اثنتى عشرة صفحة

(ء) القارىء العادى :

أما القارئ الوسط البالغ الذى يقرأ ٢٢٥ كلة في الدقيقة في الكتب فهو قارىء عادى في حاجة أن يدرب نفسه لتزيد سرعته

ومعدل سرعة القارىء العادى في المدارس الثانوية ٣٠٠ كلة في الدقيقة وفي المدارس العليا ٣٥٠ كلة في الدقيقة . .

القراءة السريعة :

(ا) متى يمكننا القراءة بسرعة :

كلما زاد عدد المفردات التي يفهم الفرد معناها الحقيقي المقصود منها ازدادت قدرته على التفكير والفهم بسرعة .

٢ — عندما يزيد النضوج الذهني الشخصي بوفرة المعلومات وسعة الاطلاع يكون أقدر على التفكير المادىء السريع .

(ب) القارئ السريع :

١ — يقرأ بسرعة لأنه يفكر بسرعة نتيجة لمحصوله اللغوى الراقي ومعلوماته الواسعة وقوة بصره .

٢ — يقرأ ٦٠٠ كلة أو أكثر في الدقيقة في المجلات أو القصص ومن ٤٠٠ إلى ٥٠٠ كلة في الأبحاث العميقة الدقيقة .

٣ — يلتقط المعنى الكامل للجملة من نظرة واحدة ولا يقرأ كلمات منفردة ، ويتخطى الكلمات التي لا أهمية لها مثل حروف الجر وأدوات التعريف وحروف العطف والضمائر ... الخ .

٤ — يستطيع قراءة الكتاب في جلسة واحدة .

٥ — يتجه كل وعيه إلى ما يقرأ ولا يشغله من ذلك مؤثر خارجي ، بل يركز فهمه ويحصر ذهنه ويشعر بلذة وحماسة تجعلانه يلتهم ما يقرأه التهاماً .

٦ — يفهم ما يقرأ ويتمشى تفكيره مع المؤلف ويوافقه أو يخالفه بسرعة .

٧ — يستوعب السطر العادى المطبوع في حركتين أو ثلاث حركات للعين .

٨ — يمكنه أن يقرأ كتاباً أسبوعياً ما عدا ما يقرأ من الكتب التي تتعلق بمهنته والمجلات الأسبوعية والشهرية والدورية والصحف اليومية والنشرات .

(ح) القراءة السريعة ضرورة لازمة :

إنها ضرورة ماسة لجميع رجال الفكر والأعمال لمجاراة العصر في تفكيره وخاصة وإن الإنتاج العقلي لا يحده حصر وأعمالنا وواجباتنا لا تتيح لنا وقتاً كافياً للقراءة . وهي أشد ما تكون لزوماً في الأحوال الآتية :

١ — عندما يكون أمامك مراجع كثيرة للبحث عن نقطة معينة .

٢ — عند قراءة الصحف اليومية والمجلات لأنك في مثل هذه القراءات تريد الفكرة العامة بالإضافة إلى كون الأسلوب الصحافي في غاية السهولة يفهم بدون بطء .

٣ — عند قراءة الأجزاء المعروفة لديك في كتاب جديد أو مقال .

٣ — عندما تريد اكتساب نظرة طائرة عن الموضوع .

٥ — عندما تكون واسخاً في الفن الذي تقرأه أو ملماً به ولست مبتدئاً فيه .

(ء) اختبر سرعتك :

اختر صفحة من كتاب لم تكن قد قرأتها من قبل بحيث لا تكون سهلة لغوياً ولا تحوي أفكاراً بعيدة من مجرى تفكيرك اليومي ومحصولك الثقافي ثم اقرأها بسرعة كما تقرأ في مجلة للتسلية وليس للتمحيص والتدقيق ، ثم وقت ما تقضي بدقة ثم اقسم عدد كلمات الصفحة على عدد الدقائق التي استغرقتها في قراءتها فتعرف سرعتك في الوقت الحاضر . لو وجدت أنك تقرأ ٣٠٠ كلمة في الدقيقة فأنت في حاجة إلى أن تزيد سرعتك . تمرن لمدة شهر واختبر مقدار سرعتك يومياً في مذكرتك فتجد أنك في نهاية الشهر تقرأ من ٤٠٠ إلى ٦٠٠ كلمة في الدقيقة فإنه من الممكن أن تمرن نفسك على السرعة حتى تقرأ ساعتاً ثلاثة أو أربعة أضعاف ما يقرأ الآن .

(ه) كيف تحسن القراءة :

دلت التجارب على أن سرعة الفرد في القراءة تزداد بمقدار ٣٥٪ بالتمرين اليومي . فاحمل نفسك على أن تقرأ ربع ساعة يومياً بأسرع ما يمكنك حاصراً كل ذهنك وانتباهك فيما تقرأ ، ثم سجل عدد الكلمات التي أمكنك قراءتها كل يوم ؛ قد تجد أول الأمر أن السرعة تحول بينك وبين الفهم ، ولكن لا تلبث بعد التدريب اليومي أن تجد أنك تستوعب من المعاني أكثر فأكثر .

زد عدد الكلمات التي تقرأها كل يوم عن سابقه بالتدريج بحيث تفهم ما تقرأ . لا تقرأ كلمة كلمة واعتد قراءة الجمل . وإذا كنت ترجع نظرك بين الفينة والفينة إلى كلمة أو كلمتين تريد استيعاب المعنى فاقض على عادة الرجوع هذه واستمر حتى تنتهي من الجملة على الأقل . ويمكنك تجنب إعادة القراءة بأن تحمل بالك إلى فكرة الكاتب .

تعلم أن تثب وثباً حكيماً لتقبض على الفكرة الرئيسية ، ولكن لا تتجاوز الكلام بل اعبره بأن تمر عليه بلحظك مراً سريعاً والتقط الألفاظ الرئيسية .

بعد قراءتك التدريبية يومياً لخص الأفكار الرئيسية التي خرجت بها من قراءتك السريعة ثم عد وتمعن في قراءة نفس القطعة ، ولخص في أثناء قراءتك هذه ، المعاني الرئيسية والفكرات الأساسية واعمل نسبة مئوية لمقدار استيعابك ما قرأت بسرعة .

وفق بين سرعتك والمادة التي تقرأها ، فمثلا في قراءة الصحف والمجلات يمكنك أن تمر مراً خاطفاً على الأخبار مستوعباً معنى فقرة بأكملها في نظرة واحدة وبعد ذلك تتمكن من أن تمر مراً خاطفاً بارعاً على الصفحة كلها مختاراً الفقرات والأفكار الهامة ، وفي الإمكان أن تصل إلى سرعة من ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة في الدقيقة في القراءة الخاطفة في الموضوعات البسيطة التي لا تحتاج إلى دراسة عميقة وإمعان كالقراءة في الصحف اليومية .

ويدهشك أن توماس كارليل وثيودور روزفلت كان لهما قدرة عجيبة على قراءة صفحة بأكملها بنظرة واحدة . ويدهشك أكثر عندما تعرف أن السر في إنتاج البروفسور لاسكي الإنجليزي في عالم التأليف يرجع إلى قوته الغريبة وسرعته في القراءة التي لا تفوقها سرعة إذ يستطيع أن يتصفح مجلداً ضخماً ويستوعب كل ما يستحق الاستيعاب بسرعة ٢٦٠ صفحة في الساعة .

(أسيوط)

إيليا حليم حنا
مدرس أول اللغة الإنجليزية والآداب
مدرسة النهضة الوسطى الأيض - سوهاج

الشاعر في الشارع

للأســـــتاذ أنور لوقا

نشرت « الرسالة » في أعداد سابقة بعض أقاصيص الأديب الفرنسي ألفونس دوديه . وألفونس دوديه كاتب ساحر ، حلو الحديث ، كبير القلب ، ساذج عميق ، أحبته النفوس على تنافر نزعاتها ، واستعذبته الأذواق على اختلاف مواردها ، والتف به الجمهور على تشعب مذاهبه وتنافر أهدافه … سحر النساء والشعراء ، وسحر الكافرين بالشعور والغارقين في طين المادة ، فتن أولئك المحلقين في الخيال ، وفتن هؤلاء المحدقين في الواقع ، راق المدنفين بالرقة ، وراع الهائمين بالقوة ، وأطرب الذين يجول الدمع في عيونهم ، وأشجى الذين لا تفارق البسمات شفاههم ، ومزج فيض الحنان بمرح الفكاهة دائماً …

كاتب ساحر نظر إلى الشيء الصغير نظرة كبيرة ، وكشف في الشيء المبتذل ناحية طريفة ، وقرن المعنى القديم بالظاهرة الجديدة ، وصور الحقيقة الملموسة في وشي من الوهم الجميل …

وإذا حاولنا أن نقف على منبع هذا « السحر » في أدبه رجعنا إلى شبابه ونشأته .

ليس من العبث أن يبدأ الأديب بالشعر ، ولا الفتى الشاعر يضيع وقته لأنه ينفقه في الحلم والتأمل .

أو لا ينبغي للكاتب الناشئ أن يعيش في برج من العاج قبل أن يهبط إلى الأرض ، ويخبط في زحمة الشارع ؟

يقول الناقد « جول ليتر » في سياق حديث له من ألفونس دوديه : إن خير ما نفعله ، حتى نحسن تقدير ما تعج به الدنيا ، هو أن نلم أول الأمر بأطراف من جمال السماء … وتلك ملاحظة خليقة بأن تسلط الضوء على وجه كاتبنا الساحر من زاوية ممتازة .

ومن هو الشاعر ؟

يجب أن نتفق أولاً على أنه ليس الذي ينظم الأبيات ، كما تظن العامة دائماً .

الشاعر قبل كل شيء — وما أصدق تسميته في اللغة العربية — كائن مرهف الشعور ، يسره شيء صغير ، ويبكيه شيء صغير ، وتكاد تهتز أوتار حسه من لا شيء …

إنه يستأنس الأشياء جميعاً ، ويندمج في وجودها ، ويعيش فيها وتعيش فيه ، فيخفق قلبه إذا أسرعت ، ويهدأ إذا أبطأت ، وتلهث أنفاسه لضيقها وكربتها ، أو ينشرح صدره لبردها وسلامها ، وتصطبغ نفسه بلونها قاتماً كان أو زاهياً .

لكل شيء عنده قيمة شعورية ، وطاقة عاطفية ، ومعنى باطني ، فهو يعنيه النبض والدبيب لا الحجم والمساحة ، هو يعي ألباب الأشياء وقلوبها قبل أن يعي أشكالها ومظاهرها . ولا يكاد ينظر إلى الصور ، وإنما يستقبل ما تلقى هذه الصور في نفسه من أحاسيس … ذلك أن البصيرة عنده أنفذ من البصر ، والوجدان عنده أقوى من العين ، وبهذا يمتاز الشاعر من المصور : ذاك تطغى عليه ملكة الشعور ، وهذا تطغى عليه ملكة الملاحظة .

وحين ينزل الشاعر من عليائه ويلتفت إلى دنيا الواقع ، ثم يتجه نحو سوق المجتمع ، ويريد هناك أن يخالط الناس ، ويتفهم الخلائق ، ويدرس الحياة ، إذن فسيهمل الشيء المبتذل ، والشيء الأجوف ، والشيء الرخيص . سيهمل في الحياة كل ما هو حشو . سيمضي ويرى ويلمس ، ولكن هيهات أن يعلق بذهنه إلا كل طريف عميق ، ولن يسجل من كل ما يجد حوله إلا الجدير بالتسجيل ، ولن يقدم لنا في آخر الأمر إلا مشاهد فنية غريبة رائعة استطاعت أن تستأثر بوعيه وتستغرقه استغراق خياله السابق .

وألفونس دوديه بدأ بالأحلام ، وإنا لنقرأ في الصفحات الأولى من قصة حياته المؤثرة (الشيء الصغير) كيف كان طفلا رقيق العاطفة في « نيم » ، يقضي نهاره في حديقة الدار وفناء مصنع النسيج الذي أنشأه أبوه ، متخيلا أنه « روبنسون كروزو » في جزيرته ، ثم كيف أحزنه فراق تلك الربوع عندما أفلس أبوه وهاجرت العائلة من المدينة . قال : « شهراً كاملا ، بينما كان أهل البيت يحزمون الأمتعة ، كنت أمشي حزيناً وحيداً في مصنع العزيز . لم يكن قلبي لينصرف إلى اللعب في تلك الأيام كما تقدرون ، لا ، بل رحت أجلس في كل ركن ، أنظر إلى الأشياء من حولي وأخاطبها كأني أخاطب أشخاصاً … وكانت في أقصى الحديقة شجرة رمان كبيرة قد تفتحت أزهارها الحمراء الجميلة للشمس ، سألتها واحدة من أزهارها فأعطتني ، ووضعت الزهرة في صدري

تذكاراً لها ... لقد كنت بائساً شقياً ... ثم خرجنا ... وكلما ابتعدت قافلتنا من البيت كانت شجيرة الرمان تشرئب ما استطاعت فوق جدران الحديقة لتنظر إلينا وتنظر إليها قبل أن تغيب ... وكانت الأشجار الأخرى تلوح لنا بأوراقها وتقرئنا الوداع ... وكنت شديد التأثر أرسل إليهم في خلسة قبلات حارة على أطراف أناملي » ...

وفي ليون ، يفتقد الصبي شمس « نيم » المشرقة وهواءها الطيب ، فلا يجد إلا سماء قاتمة وضباباً كثيفاً ، ويُلحق بكتاب « سان بيير » ، حيث تستغرق الصلاة والترنم معظم الوقت ، والدرس أقله ... وفي هذا الجو القابض ، جو البيت القلق ، وجو المدينة القاتمة الموحشة ، سرعان ما يصبح ألفونس غلاماً عابثاً متمرداً شريراً ، فإذا أدخل المدرسة الابتدائية لم يرعو عن عبثه ، ولم يقتصد من لهوه ، بل مضى يطلق لنفسه العنان في التخلف والتغيب والهرب ، ليجدف في نهر الرون حيناً ، ويهيم في الريف حيناً ، ويعرج على المقاهي والحانات بين ذلك ... ولكنه يطلق لنفسه العنان أيضاً في القراءة والمطالعة ، فيلتهم كتب القصص ودواوين الشعر ، ويعيش في عالم مسحور بعيد من إبداع خياله ، يهرع إليه ويلوذ به كلما ضاق بالبيت والمدرسة والمدينة ... وفي الخامسة عشرة من عمره بدأ يقرض الشعر ، وأخذ ينشر الأبيات تلو الأبيات في صحيفة محلية من صحف ليون ، ويتضد في دفتر أنيق مادة ديوان أنيق ...

ولكن الشعر لايقوت أصحابه ... لا بد من كسب العيش ... ولا بد لهذا الفتى بينه من الاعتماد على نفسه منذ سن مبكرة ، لأن مالية الأسرة ما زالت مضطربة ... هناك يأتيه نبأ وظيفة خالية ، وظيفة « مشرف » في مدرسة « إلياس » الثانوية ، دفتنه شجاعته إلى طلبها ، وأسعفه حظه بنوالها — كما يقول هو — فقد جرعته سنة مرة من العذاب القاسي في جحيم تلاميذ خبثاء ، لم يطق سدها صبراً ، بل انطلق إلى باريس يهلك في سبيلها فرنكاته القليلة التي كان قد أدخرها طيلة العام لمشروع رحلة درها طموحه إلى مونبلييه ، حيث أزمع أن يتقدم لامتحان البكالوريا ...

ويحط في باريس فتى حالم العينين ، صبوح الوجه ، متهدج الصوت ، حيياً كأنه عذراء ... ولا يزال يتعلم الشعر والخيال في غرفة عالية على سطح منزل فقير ، حتى يتصل — لنشر ديوانه — بسماسار الأدباء والفنانين في عوالمهم وحاناتهم ... إذ ذاك يرى ويلمس واقعاً من الحياة ساحراً نابضاً غريباً ، حافلاً بروائع كالتي أنبتها في أحلامه ... وها هوذا يقبل على تلك الحياة « البوهيمية » إقبال الظامئ على شراب عذب ، يعب ولكنه يتذوق ، ويرتوي ولكنه يستمتع ويتلذذ ... ويخرج يتسكع على أرصفة باريس ، ويضرب في أحيائها ، ويغشى جميع أوساطها ، ويتغمر في عبابها المصطخب ، وحواسه المتفتحة المرهفة دائماً تتصيد الأطياف الخفية ، وتسجل الصور الظاهرة ، وتلتقط من الدقائق ما يغيب من أعين الباريسيين التي اعتادت النظر وأعين المحترفين التي كانت من التحديق .

هناك وجد الشاعر بين يديه ما يجتذب بصره الذي كان شارداً إلى الأفق البعيد ، وجد ما يسترعي حواسه كلها ، أشياء جديرة بأن ينظر إليها ويتأملها ويطيل تأملها والنظر إليها ، أشياء طريفة لاحظها وملته كيف يلاحظها ، أو لعلها أشياء عادية مبتذلة يهملها سواد الناس ولكن ملكات الشاعر فيه قد تنبهت إلى روعتها وطرافتها وامتيازها . ومن هنا كادت صور باريس ومفاتنها ومآسيها أن تصبح مادة جميع قصصه فيما بعد ، ومادة « أقاصيص يوم الاثنين » بوجه خاص .

ليس إذن أفضل للكاتب الذي يريد رسم طبيعة الحياة من أن يعتلي ، قبل أن يخوض غمارها ، بخيال خصب وشعور خصب . ونحن نحس اليوم أن نفس ألفونس دوديه التي حرمت هناء الطفولة وأفراح الصبا ، فباتت تنشد السعادة والحنان أحلاماً عريضة يبسطها لها الأمل ويوشيها الخيال ويحدوها الشعر ، مازالت ترفرف على أقاصيصه ، تضيف إلى دقة النظرة هزة التأثر ، وتؤلف من جزئيات الواقع وتفاصيل الحياة المتناثرة هنا وهناك صوراً فريدة صادقة ، لايدخل في نظمها من صنعة إلا سحر الاختيار الساذج ، ولكنها لا تحتاج إلى أكثر من ذلك لكي تثير فينا هذا الشعور الثر بتدفق الخيال الترق من صميم الواقع والملموس ...

ولقد كان دوديه يعبر عن نفسه هذا كله ، ويرى في الشعار الذي اتخذه جوته — « الحقيقة والشعر » — حكمة فنية تشمل الحياة الإنسانية بأسرها .

أنور لوقا
مدرس منتدب بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

سحابة صيـــــف

للأســـتاذ ثروت أباظة

على شاطئ البحر أرسل فيه ناظري فينطلق لايسوءه إلا الأفق البعيد … تتهادى منه إلى الشاطئ موجات كل منها تتزين للاقاة هذا الشاطئ بلون يختلف عما اتخذته صاحبتها ، وإذا هي مرتمية عليه في إلحاح العاشق المشوق حاملة معها نسيماً يشتد حيناً ويلين أحياناً … يشتد كالشوق عارم ، ويخفت كالشوق نحيف … والشاطئ رابض يستقبل كل ما يرد ، لا تلمح عليه من التغير غير بعض الماء يعلوه من أثر الخجل ، ثم لا تلبث الرمال الظامئة أن تبتلع هذا الماء إلى غير رجعة وفي غير اكتفاء … والناس بين ذهاب وأوبة منهم من يول الموجات نظره واهتمامه ، ومنهم من شغلته حوريات أخرى ، فهو غير حافل بشيء مما يدور حوله من غزل يرق ويحتدم … ومن الناس من اقتحم على الموجات غزلها فأفســد من زينتها وعاق من شوقها — قاسياً عاتياً … وهل كان الإنسان إلا كذلك … فما الذي ساق صاحبي وأنا في هدأتي هذه يقطعها عليّ قائلا في صوت أجش:

— سلام عليك !

— بسم الله الرحمن الرحيم … لا أنزل الله عليك السلام أبداً … من أين خرجت ؟

— أعوذ بالله ! أهذا لقاء ؟

— فليكن وداعاً

— خيراً ، ماذا بك ! ؟

— ليس بي غيرك ، فاجلس صامتاً أو انصرف مشكوراً.

— آه … آسف ، لقد قطعت عليك خيالك … آسف يا حضرة …

لا فائدة إذن ، لقد آله لقائي فأراد أن يرده سخرية ، وحسبي الله … لابد أن أتعلم السخرية بمثلها وأجعل الحديث كله مزاحاً … ليجلس … والبحر لن يفيض ، والشاطئ لن يفر ، والقسوة في الناس لن تزول : —

— لا … لا تأسف فهكذا أنت والله … بل أنك عادة أكثر جوداً منك الساعة ، فها أنت ذا تحس فتأسف وما كنت في يوم ذا إحساس ، اجلس … وتكلم …

— أذنت لي … أي تنازل … كيف حالك وما حال الصيف معك ؟

— أما حالي فالله محمود على كل شيء ؛ وأما الصيف فلا أدري لماذا يمر بطيئاً . يخيل إلى أنه لن يزول … أنا لا ألتذ شيئاً هنا ولايسرني غير وحدتي ؛ وما كنت في يوم محباً للوحدة … ولكنني أجدها أقل سوءاً من غيرها .

— سحابة من ملل الصيف تزول إن شاء الله .

— وأنت … ؟

— أنا ماذا ؟

— متى تزول ؟

— أعوذ بالله ماذا جرى لك ؟ لقد أصبحت طويل اللسان إلى حد لا يطاق .

— أراك تطيقه

— فتى أراك ؟

— أمر عليك

— فأنت لا تريد أن تراني … ماذا بك … لن أنصرف أو أعرف .

— لقد أحسنت التهديد … مللت من قلة العمل والاسترخاء ، وكسلت من العمل في ذاته فأصبح حالي مزيجاً عجيباً من عمل أماني أكسل منه ، وملل من هذا الكسل ، وقعود من إزالة هذا الملل

— كنود ذلك الإنسان … لقد رأيتك والعمل يتكاثف عليك تناشد الله العون وترجو منه أن يسوق إليك الصيف يرفع منك حملك … وأجاب سبحانه الدعاء ، وأزال عنك كدرك وساق إليك الصيف فإذا أنت تستقبله في هذا الفتور البائس وذلك الملل المصطنع .

— مرض …

— أنت طبيبه … إن نفسك هي أشرى أعدائك فاربها … تضع أمامك المسالك المسدودة وهي قديرة أن تفتحها لك ، وأنت قدير … من نفسك تطلبك ، وامنعها أن تمل تمرح ، وازجرها أن تموج بك تستمرئ الحياة

أيهـــا القمـــر

للشاعر الإيطالي (ماكو موليو باردي)

ترجمة الأستاذ عبد الموجود عبد الحافظ

(صحب الشاعر في إحدى رحلاته أحد الرعاة فأوحت إليه هذه الصحبة روائع من الشعر. هذه القصيدة إحداها. ويعد شعره نموذجاً للإبداع والرقة والرشاقة الجذابة والعواطف المتأججة، ولم يكن شاعراً فحسب، بل كان عالماً فاضلا متقناً لعدة لغات (العبرية واللاتينية والأسبانية وغيرها) ولد ولد في ١٨٩٨ بمدينة (ريكاني) ومات في نابولي ١٩٣٩ م).

... أيها القمر ما عملك في السماء؟ خبرني ماذا تعمل أيها الوحيد الصامت؟ إنك تظهر ليلا وتسير مشاهداً البوادي ثم تختفي

أما حل بك التعب من مرورك دوماً في هذا الفضاء الخالد؟ ألم يعترك الضجر والملل؟ ألا زلت ترغب في مشاهدة هذه الوديان؟

ما أشبه حياة الرعاة بحياتك! إنهم يستيقظون في تباشير السحر يسوقون أغنامهم إلى الحقول، فيرون أمامهم قطعاناً ومروجاً واسعة وعيوناً نابعة ... فإذا ما حل بهم التعب من الطواف طول النهار، ناموا في المساء ولا أمل لهم غير الراحة.

أيها البدر! خبرني ماذا ينفع العيش وماذا تجدي الحياة؟

ليت شعري ما الفائدة من عبورنا السريع لهذه الحياة، وما الغرض من مسيرك المتواصل دائماً؟

ها أنت ذا ترى الواحد من الرعاة شيخاً مسكيناً مسنّاً يكاد ثوبه البالي لا يستر بعض جسمه، حافي القدمين، مشعث الشعر، يحمل على عاتقه عبئاً ثقيلا لا يفارقه ... فهو تارة يتسلق الجبال العالية وطوراً تسوخ قدماه في الرمال، يخترق الغابات الملتفة ويسير في العواصف الهوجاء، يقاسي قر البرد وهجير الحر، يواصل جريه فلا يهوله مستنقع يعترضه ولا صخرة يتسلقها. تراه يكبو ثم ينهض فيسرع في جريه دون توقف ليستريح ولو تمزق جسمه وانبثقت منه الدماء إلى أن يبلغ نهاية الطريق التي حددها له التعب والعناء، وهناك تتلقفه هاوية سحيقة يهوى فيها، فينسى كل ما لقيه من هم وبلاء. هذا مثل الحياة الفانية أيها البدر المنير

أيها المتفرد في عليائه! يولد الإنسان بالتعب والعناء، فيكون عرضة للمرض، ثم طعمة للموت. يحس أول حياته الألم والشقاء، فيبدأ أبواه يعزيانه عن ميلاده من يوم أن يوجد في المهد، فإذا نما وترعرع شرعا في مساعدته حتى يكبر، فيبذلان جهدهما في إعداده لما ينتظره من هموم الحياة، بالأقوال والأفعال، فإذا أصبح رجلا تركاه ليحمل نصيبه من أعباء الحياة.

أخبرني لماذا نولد ونوهب الحياة مادمنا سنسلبها؟ وما دام الوجود هماً وشقاء فلماذا نعمل على تقوية دعائمه؟ هذه حالنا نحن الفانين . . .

أما أنت أيها القمر فلست عرضة للموت، لذلك لا تحفل بما أفضيت لك به:

أيها الساري في الليل! ربما تعلم سر الحياة وسر ما ينتابنا من آلام وما نذرف من دموع. ربما تعرف سر الموت، وشدة شحوب ألوان وجوهنا عند ما نودع الحياة، والحزن الذي يلم بنا عند مفارقة خلان أوفياء ومحبين أمناء.

إنك لتعلم علة الأشياء وتعرف فائدة الصباح والمساء ومسير الزمن الذي لا نهاية له.

أنت الذي تدرك سر تبسم الزهر في الربيع وذبوله في الخريف،

— خطيب بارع ...

— لا فائدة منك اليوم. أنا آت إليك غداً، وسوف أصحب معي رفقة ترتاح إليهم، ولأحارب أنا نفسك ما دمت تضعف عنها، سلام عليك.

— سلام؟

ومضى وسيأتي غداً.. كم كنت فظاً معه! ولكنه الحبيب الذي لا يكلفني اصطناعاً في إظهار عواطفي، فهو يقبلها كما أبديها، وأبديها كما أحسها.. كم أحبه وكم أحمل! . على أية حال إنه غداً آت وما أظنه إلا متغلباً على نفسي ... ثم إنها كما قال ... سحابة صيف.

ثروت أباظة

وما فائدة الصيف المحرق والشتاء القارس . إنك تعرف آلافاً من الأسرار وتكشف فيها عن أشياء لا تخطر لنا على بال .

— إنني حينما أراك صامتاً عالقاً فوق السهول المقفرة والجبال العالية ، وكلما أراك تتبعني أينما سرت خطوة خطوة ، وكلما نظرت الكواكب تتلألأ في السماء ، أقول وأنا سابح في بحار من التفكير لم هذا الضوء الساطع والنور الكثير ؟ وما معنى هذه الوحدة العظيمة ! ومن أكون أنا ؟

هذا ما يجول فيه فكري ... أما المقام العظيم الذي لا تقاس مدته ، والكائنات التي اختلفت أنواعها وتعددت فضائلها ... والنشاط المستمر والحركات المتعددة التي تصدر عن الأجرام السماوية والأجسام الأرضية ، تدور بغير توقف وتسير بلا انقطاع ثم إلى مصدرها الأول ، فلا أستطيع أن أفهم أي غرض لها ، ولا أية فائدة تقوم بها .

أما أنت أيها المختال بشبابه ، المدل بجماله ، فإنك لا تجهل منها شيئاً . وأما أنا فجل ما يصل إليه علمي ، أن هذه الحركة المستمرة والدوران الدائم ووجدي الواهي ، ربما كان فيهما خير أو إرضاء شيء آخر ، ولكن حياتي كلها شقاء وشر

* * *

ما أسعدك أيتها الشياه فأنت سعيدة مستريحة ، لأنك لا تعرفين البؤس والشقاء ، ولا تحسين لذع الهموم والأحزان . وكثيراً ما نظرت إليك بعين الحسد ، كلما زلت بي الهموم والأحزان ، لأنك لست عرضة لها .

إنك حينما تضطجعين تحت ظل الأشجار فوق العشب الأخضر الناي تكونين مطمئنة مسرورة ، تقضين معظم أيام حياتك خلية البال مرتاحة الفكر .

إنني أنام كما تنامين تحت الأفياء وفوق الكلأ ، ولكن لا يلبث الضيق أن يغمر نفسي ، ويخيل إلي أن أشواكاً تخزني وإبراً تفرز في جسمي ، وأكون وأنا على هذه الحال بعيداً عن الراحة والدعة .

أما أنت فسعيدة على كل حال . وأنا قليل السرور وليس هذا كل ما أشكوه .

آه أيتها الصامتة إلى الأبد ! لو أنك تستطيع النطق لسألتك : لم تسترخ كل بهيمة كلما تريد في حالة السكون ، بينما أنا يكاد يقتلني الضيق والسأم كلما ركنت إلى الراحة والهدوء .

آه أيها القمر الزاهر ! لو كان لي جناحان فأحلق بهما فوق السحاب وأعد النجوم واحدة واحدة والكواكب كوكباً كوكباً ، وأطوف من ذروة لأخرى ، لكنت أسعد حظاً وأهنأ بالاً أيها الكوكب الفضي .

وربما كنت أنعم بالحياة وأسعد بالعيش مما أنا فيه .

إن عقلي يكاد يضل كلما حاولت النظر في حظوظ الكائنات .

إنه يخيل إلي أن يوم الميلاد يوم مشئوم لكل مخلوق من المخلوقات مهما كانت فصيلته التي ينتسب إليها والحالة التي يكون عليها سواء أكانت في المهود أم في الزرائب .

فهل جانبني الصواب أيها الساحر على تعاقب الأجيال .

(أسيوط) عبد الرحمود عبد الحافظ

من الأعمــــاق ...

للآنسة الفاضلة (المطوقة)

سرت وحدي في غربة العمر، في التيه المعمى، تيه الحياة السحيق
لا أرى غاية لسيرى ولا أبصر قصــــداً يوفى إليه طريق
ملل في صميم روحي ينساب، وفيض من الظـــلام الدفوق
وأنا في توحشي، تنفض الحيرة حولي أشـــباح رعب عميق

سرت وحدي في التيه، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبي الوحيد
سرت وحدي، لا وقع خطو سوى خطوى على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق، لا صاحب، لا دليل غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمود الحيــاة يمتد على عمرى ظلّ الفناء، ظلّ الخمود ...

والتقينا ... لم أدر أي قوى ساقتك حتى عبرت درب حياتي!
كيف كان اللقاء؟ من ذا هدى خطوك؟ كيف انبعثت في طرقاتي؟
لست أدري، لكن رأيتك روحاً يوقظ الشوق في مسارب ذاتي
ويذرّي الرماد من روحي الخابي، ويذكي ناري، ويحيي مواتي ...

حدقت مقلتاك فيّ، وآلامي يمشي شـــبابها مقلتيه
لست أدري ما استجلتاه ولا ما رأتا خلف وحدتي الأبديه ...
غير أني أبصرت روحك تهتز انعطـــافاً، في رقة علويه
وهنا خلتني شـــعرت بروح الله رفت من السماء عليه!

يا لعينيك! أي نفخة بعث أودعتها عيناك في أعماقي
فإذا بالحيـــاة عارمة النبض بفيض الحنين ... بالأشواق ...
وإذا بالجمال يعكس ألوانـ رؤاه على صـــدى آفاق
وإذا بي في ظل حب عظيم معجز السحر، مبدع، خلاق

نظرة فتحت لقلبي أبواب السموات والجنـــان العليه!
رحلت لي أفقاً يموج به الوحي وتشتعل الرؤى القدسيه ...
فيه سحر الألوان، فيه صدى الألحان، فيه منابع الشاعريه!
نظرة خلف عمقها رحت أستشرف عمق الخلود والأبديه!

ومضت بي الأيام، لا أنا صرّحت، ولا لحظك الحييّة تبدو
كم وكم راح يحتوينا مكان وأنا صبوة توارت ... ووجد ...
كم حديث حدثتني، كم قصيد هز روحي وأنت تروي وتشدو
وبقلبي السعيد شيء كنفث الوحي، يطغى تياره ويعدّ!

ومضت بي الأيام، والزمن العجلان يجرى كالهارب المجنون
وسكوني ما انفك يرخى سدولاً فوق رعشات قلبي المفتون
وتلاشت بغتـــة، ويسحق نشوة السحر والهوى والفتون
وإذا قلـــبي المرنح أشـــلاء على راحة الوداع الحزين!

وافترقنا، وملء نفسي — لو تدري — أحاسيس هائجات حيارى
وهواي المكبوت يجهش في صمت، وتهمى دموعه أشعارا
كم شجاني وداعك المرّ، كم سالت قلبي الممزق للمعطارا
كيف كان الفراق؟ كيف ازوى وجهك مني في لحظة وتوارى؟

وافترقنا، وبين كفيّ رسم لم يزل كل زاد روحي المتيم
كم تلمست عمق عينيك فيه وبيـــنيّ أدمع تتضرم
يا لقلبي، كم راح بين يديه يهتك الحجب من هواه المكتم
أسمع، أتسمع عبر الصحارى صداه يتراءى إليك شعراً مترنم ...

(المطوقة)

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

إلى الأديب اللبنانى العربى سهيل إدريس :

سألتنى أن أطالعك برأيى فى قصـــتك اللبنانية الطويلة « سراب » ، وتفضلت فبعثت إلىّ بعشرة أعداد من « بيروت المساء » فى كل عدد منها فصل من فصـول القصة ، وهأنذا أطالعك بهذا الرأى على صفحات « الرسالة » بعد أن فرغت من قراءة فصلك الأخير ، ذلك الفصل الرائع اللاذع الذى هزّ فى عينىّ قطرات الدموع !

إذا قلت لك إنك قد بلغت غاية التوفيق فثق أننى لا أجاملك ، وإذا قلت لك إننى أود أن أشد على يديك مهنئاً فثق مرة أخرى أنى لا أجاملك ! وأظنك تعلم حق العلم أننى ما جاملتك قط ، أنت بالذات ، بل لعلى كنت أقسو عليك أحياناً حتى لا أترك فى نفس قارئ أثراً للشبهات ولا موضعاً للظنون !

ولقد قلت لنفسى بعد أن فرغت من قراءة قصتك : ترى أى صدى خلقته هذه القصة بين جوانح القراء والأدباء فى لبنان ؟

أما القراء ، فأنا أعلم أنهم معجبون بك ويعطفون عليك ، وأما الأدباء ، فلهم معك شأن آخر ؛ شأن أبرز سماته الحقد الذى يدفع إلى الظلم ، وملء الطريق بالحجارة لتتعثر أقدام الناجحين !

هذا هو الشعور الذى كان يخالجنى كلما خطوتُ إلى الأمام خطوة ، شعور بعطف القراء وحقد الأدباء ... هذا الحقد الذى كنت ألمسه كلما ظهرت لك مجموعة قصصية جديدة . لقد كان إخوانك فى لبنان يحرصون دائماً على أن يقدموك إلى الناس فى كفة تغلب فيها السيئات على الحسنات ، بل لعلهم لم يشيروا إلى حسناتك إلا فى القليل النادر ، ومع ذلك يقال عنهم إنهم حملة الأقلام وأصحاب الميزان ! وأشهد أنك كنت تلقى ظالميك دائماً وعلى شفتيك ابتسامة ، وعلى قسمات وجهك آيات من الصبر الجميل ... وتشهد رسائل إليك أنى كنت ألومك أعنف اللوم على هذا السلوك الذى كان يثيرنى منك ، ذلك لأن أكثر الناس لا يفهمون ولا يدركون ... لا يفهمون سر الابتسامة على أنه من أثر الثقة بالنفس ، ولا يدركون أن الصبر الجميل مصدره الإيمان بالمستقبل ! وكم قلت لك إن بين يديك قلماً يستطيع أن يرد الطاعنة طاعنات ، وأن يدرأ عن صاحبه تلك الحملات الظالمة التى لا تستند إلى شرعة من إنصاف ولا إلى مسكة من ضمير ، فلم لا ترفع معول الهدم لتهوى به على الأصنام ، ولم لا تشق طريقك على أشلاء الجثث المحنطة فى توابيت الأدب ؟ !

وتزداد أنت صمتاً وأزداد أنا ثورة ، لأننى أريد لك ولكل إنسان ناجح أن يتخذ شعاره من هذه الكلمات التى نطق بها نيتشه : « حطم كل مأفون يعترض طريقك » !

ومع ذلك ، فقد مضيت فى طريقك لا تكاد تصغى إلى هذا الصوت الثائر الذى يهيب بك أن تلقى العنف بالعنف ، ولا إلى تلك الصيحات المنكرة التى كانت تتجاوب من حولك كلما قطعت مرحلة من مراحل الطريق ... لقد كانت البسمة على شفتيك وليدة الثقة ، وكان الصبر بين جنبيك ضريبة الإيمان ! وبهذين السلاحين النادرين استطعت أن تبلغ الغاية التى كنت أرجوها لك ... صدقنى إن الدموع التى اضطربت فى قلبى قبل أن تندفع إلى عينىّ ، كانت صدى صادقاً لهذا الفصل الرائع الذى ختمت به « سراب » ، وكانت — فوق ذلك — انعكاساً مباشراً لتلك الأضواء التى غمرت جوانب نفسى وأنا أراك تجنى ثمار الصبر والجهد والأيام المضنية !

لقد كنت آخذ عليك أحياناً ضعف النبض المنبثق من قلب الحياة خفاقاً على صفحات فنك ، وكنت آخذ عليك أحياناً أخرى عدم العناية بوضع التصميم الفنى الكامل قبل رص اللبنات الأولى فى بناء القصـــة ... وكأنك كنت تحشد تجاربك كلها وتشحذ أسلحتك كلها لهذه المعركة الفنية التى انتصرت فيها على وخزات النقد ، وإذا « سراب » قصة تصور فى جلاء مراحل هذه المعركة قبل أن تصور فى صدق حياة الجيل فى لبنان ... قصة تروى لقرائها قصة أخرى ، خير ما فيها أنك قد رسمت خط الاتجاه التفكيرى فى صبر وأناة ، فبدوت ثابت القدم إلى حد بعيد ... هذه واحدة ، أما الثانية ، فهى إكمال التصميم الفنى قبل الشروع فى البناء ؛

ومن هنا ظهرت كل طبقة من طبقات القصة وهي في مكانها الذي حددته المقاييس ، وتبقى بعد ذلك هذه الإنسانية التي تترجم في صدق عن لغة الشعور ، وتلك الواقعية التي تنقل في أمانة عن لغة الحياة !

ولقد كنت أود أن أقدم للقراء تلخيصاً كاملا لقصتك ولكنني عدت أخيراً فأحجمت ... أحجمت لأن التلخيص سيظلم «سراب» الطويلة كل الظلم ، وأنا لا أحب أن أظلم هذه القصة التي يجب أن تقرأ كاملة . هناك الأفق الذي رحب ، وهناك القلب الذي وجب ، وهناك رفات الجناح المحلق في سماء جديدة ، وكل تلك القيم يجني عليها التلخيص العابر والعرض السريع !

يا صديق ، حسبك هذه الكلمات رأياً فيك وفي قصتك .. ويشهد الله أنها كانت تمليها نزاهة النقد لا عاطفة الصداقة !!

مسرحية « الملك أوديب » بين الكتاب والمسرح :

... ...

قرأت تعقيبك حول الملاحظات التي توجهت بها إليك على صفحات «الرسالة» عن كتاب «الملك أوديب» لتوفيق الحكيم . وقد أعجبني منطقك حقاً ، وأشهد أنه كان في منتهى الروعة والدقة ، وإذا كان هناك أي خلاف بيني وبينك حول بعض النقاط ، فأحسب أنه يقتصر على التفاصيل والجزئيات فحسب . وقبل أن نوصد باب الحديث في هذا الموضوع وددت أن أحتكم إليك في مسألة جديدة هامة حول مسرحية أوديب . فقد لفت نظري في مسرحية « أوديب ملكا » لسوفوكليس أمر هام ، إذ لاحظت أنه في الوضع الذي تخنق فيه الملكة جوكاستا نفسها ويطعن أوديب عينيه ، لا يصور المؤلف المشهد مباشرة ولا ينقلنا إلى المكان الذي حدثت فيه الفاجعة ، وإنما يسرد لنا خبرها وتفاصيلها على لسان خادم . وقد اتبع أندريه جيد نفس الطريقة في معالجة المشهد المذكور وكذلك فعل توفيق الحكيم . ومعنى هذا أنه لو مثلت هذه المسرحية على المسرح فإن المتفرج لن يرى الملكة جوكاستا معلقة من رقبتها بالحبل ولن يرى أوديب يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية ، وإنما يرى أمامه شخصاً واحداً استبد به الجزع فوقف يسرد تفاصيل الفاجعة . وأحسب أن هذه الخطوة تخل بالمأساة إلى حد بعيد ، وتنقص من قيمتها بدرجة محسوسة ، لأن ثمة فرقاً كبيراً بين عرض المشهد مباشرة على المتفرج وبين تصويره له عن طريق الرواية والسرد . وهذا الفرق يتعاظم دون شك إذا كان المشهد المقصود من أدق وأبرز مشاهد المسرحية كما هي الحال في مسرحية أوديب .

لهذا فقد شككت كثيراً في أن يكون جان كوكتو قد انتهج في معالجته لهذا المشهد في « الآلة الجهنمية » نفس المسلك الذي انتهجه أقرانه الثلاثة الذين أشار إليهم فيما سلف من كلام . ومبعث الشك هو كون جان كوكتو فناناً مسرحيا خبر المسرح عن قرب ودرس مطالبه ومطاليب رواده وألم من قريب بكل ما من شأنه أن يهيء للمسرحية النجاح أو يكتب لها الإخفاق . وبدافع هذا الشعور تحققت حاجتي إلى قراءة كتاب كوكتو عن أوديب ، ولكن الظروف لم تهيء لي ذلك ، ولم تيسر لي الحصول على نسخة من الكتاب في لغته الأصلية . ولذا فقد جئت أسألك عن هذه النقطة آملا أن تنقع إجابتك عن قراءة النص . وأرجو ألا تحرمنا بعد ذلك من تعقيبك حول هذه الملاحظة ، فيما إذا كنت تقرني على رأيي أو تخالفني فيه .

ولك جزيل شكري وخالص امتناني وفائق مودتي وتقديري .

(بغداد) فؤاد الونداوي
ليسانسيه في الحقوق

مرة أخرى يؤسفني أن أختلف مع الصديق العراقي الفاضل في هذه الملاحظة التي أبداها وفي ذلك الرأي الذي نادى به ... إن هؤلاء الكتاب المسرحيين الذين أشار إليهم قد نظروا إلى طبيعة المسرح وإمكانياته المادية ، حين خطر لهم ألا يعرضوا على النظارة ذلك المشهد الذي يرى الأستاذ الونداوي في إغفال عرضه إخلالا بالمأساة وغضا من قيمتها التمثيلية ! الواقع أنه لا إخلال هناك ولا إفساد ، ما دام سير الحوادث في المسرحية قد هيأ أذهان النظارة لوقوع الفاجعة وتلقي خبرها على لسان شخص من الشخوص ... ثم إن هناك لوناً من الاستحالة المادية في إظهار نسخة جوكاستا على المسرح وهي معلقة من

رقبتها بحبل وكذلك الملك أوديب وقد طعن عينيه بالمشابك الذهبية ، ذلك لأننا إذا أقدمنا على إخراج هذا المشهد كما يريد له الأستاذ الونداوى أن يكون ، لا تقلب الأمر من عالم التمثيل إلى عالم الواقع ، ولتحول من دنيا الخيال إلى دنيا الحقيقة . . أى أننا لو فرضنا على إحدى الممثلات أن تقوم بدور الملكة جوكاست ووضعنا الحبل حول عنقها ثم تركناها تتأرجح على المسرح ، فمعنى هذا أن الانتحار الذى نريده تمثيلا يصبح آخر الأمر وهو حقيقة ماثلة ! .

هذه الاستحالة المادية فى إبراز مشهد الانتحار بالنسبة إلى الملكة جوكاست تتكرر مرة أخرى بالنسبة إلى الملك أوديب ... إن أى مخرج مسرحى لا يستطيع أبداً أن يعرض على النظارة منظراً رهيباً يتمثل فى رجل يفقأ عينيه بالمشابك الذهبية حتى لتتدحرج حدقتاه على خديه وسط فيض من الدماء ! استحالة مادية تقف فى وجه المخرج والممثل وتضيق بها طبيعة المسرح قبل أن يضيق بها شعور النظارة على التحقيق ... ولكن هذه الاستحالة يمكن التغلب عليها بسهولة إذا ما نقلنا القصة من خشبة المسرح إلى شاشة السينما ، لأن هناك من الحيل السينمائية ما يستطاع التغلب به على شتى المواقف والعقبات !

أما الكاتب المسرحى الفرنسى جان كوكتو فقد سار على نفس النهج فى « الآلة الجهنمية » مع العلم بأنه هو الذى يشرف على إخراج مسرحياته ، وليس من شك فى أن كوكتو مخرج مسرحى ممتاز يدرك طبيعة العمل المسرحى ومدى التفاوت بين حاضره وماضيه ، من ناحية القيم الفنية والتمثيلية .

هذا وللأستاذ الونداوى خالص الشكر على صادق تقديره وكريم مودته .

بعض الرسائل من حقيبة البريد :

هذه رسالة طريفة من الآنسة الفاضلة سعاد عبد الهادى بالقناطر الخيرية ، تستشيرنى فيها حول أمر يقلقها قليلا كل مساء ، أما هذا الأمر فهو أنها كثيراً ما تقف وهى عائدة إلى البيت أمام واجهة إحدى المكتبات ، حيث يطالعها فى كل مرة كتاب يجذبها إليه اسمه وينفرها منه اسمه أيضاً ، وهو كتاب « صور من العشق » ... وتسألنى الآنسة الفاضلة : هل تقدم على شراء هذا الكتاب ؟ وهل مما يليق أن تقرأ فتاة كتاباً عن العشق ؟ « إن كلمة العشق رغم لذتها وظرفها فإنها أيضاً تخيف وتخجل وتضايق » ! إن ردى على الآنسة هو أنه لا بأس أبداً من قراءة هذا الكتاب لأنه كتاب يتحدث عن ألوان من الحب استخلصها المؤلف من زوايا التاريخ ، ومهما يكن من شىء فإن الفتاة التى تجد الشجاعة على أن تصف الحب بأنه لذيذ وظريف ، هذه الفتاة يمكنها أيضاً أن تجد الشجاعة على أن تقرأ كتاباً من هذا الطراز !! ... أما الرسالة الثانية فمن « بغداد — العراق » أشكر لمرسلها الأديب الفاضل عبد الله نيازى بمديرية التسوية العامة رقيق تهنئته ، وأجيبه بأنه يؤسفنى جد الأسف أن كتاب « نهاية حب » الذى تفضل بإرساله إلى قد وقع فى يد غير يدى على التحقيق ! وهذه رسالة ثالثة من « بغداد — العراق » أيضاً تحمل إلى من كريم التقدير ما يستحق خالص امتنانى لمرسلها الأديب الفاضل عبد الوهاب البياتى ، أما المسألة التى أشار إليها فهى موضع عنايتى . ورسالة رابعة من الشاعر الفاضل جعفر عثمان موسى « كوستى — السودان » تحوى بضعة أسئلة حول فن القصة وفنون أخرى ، كما تحوى عتاباً رقيقاً على سؤال قديم شغلت من الإجابة عنه ، والواقع أن كثرة شواغلى قد ألهتنى عن هذا الصديق الذى سأكتب إليه رسالة خاصة تصله بعد أيام . ورسالة خامسة من « مدنى — السودان » أيضاً يطلب إلى فيها مرسلها الفاضل ع . عبد الله أن أكتب مرة أخرى عن الشيوعية البغيضة التى « يحاول المتشيعون بأهدابها تسفيه النصوص والآراء الدينية نابذين فى سبيل منطقهم المتهافت كل منطق قويم وكل برهان ناطع وكل حجة دامغة ، وأى منطق متهافت هذا الذى يتحدى القرآن » ؟! ... إننى أشكر للأديب الفاضل هذا الشعور الصادق نحو المبادىء السامية ، وأعده بالكتابة فى هذا المجال كلما حانت الفرصة . وتبقى بعد ذلك بضع رسائل سأشير إليها فى العدد القادم إن شاء الله .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

شاعر يثور على الطبيعة :

لكثير من الكتاب والشعراء — في القديم وفي الحديث — ولع بمشاهد الطبيعة والسكون إليها والتغني بجمالها ، حتى لقد صار ذلك تقليداً متبعاً يجرى عليه الناشئون في الأدب والمتطلعون إلى قرض الشعر ، تراهم يقصدون إليها ويسرحون الطرف في مفاتنها ، عسى أن تزف إلى قرائحهم بنات الأدب والفن .

وقد قرأنا كثيراً من القصائد والقطع الجيدة في وصف مناظر الطبيعة والتفنن في التعبير عن جمالها ، وقد أوحت بها إلى أصحابها تأملاتهم تلك المناظر وسبحات أفكارهم في جوها ، ولعل هذا النوع من الأدب أقل أنواعه رواجاً في عصرنا هذا الذي يفضل الخوض في مسائل الحياة والتحدث عن الحقائق الإنسانية وتحليلها . فالأديب يذهب إلى الحدائق والشواطئ ، ليأخذ قسطه من الاستجمام والترويح عن النفس وصحة الجسم ، كأي إنسان آخر ، ثم هو مطلق الحرية في أن يأخذ موضوعه من أي مكان شاء ، لا يتقيد إلا بما يثير عقله وإحساسه من صور الحياة وشؤون الناس .

أثارت تلك الخواطر بنفسي ، قصيدة نشرت بالأهرام للأستاذ محمد مفيد الشوباشي ، عنوانها « شاطئ بلطيم » ذهب بها في الحديث عن هذا الشاطئ مذهباً إنسانيا طريفاً يعاكس مذهب شعراء الطبيعة المفتونين بها ، فهو لم يسكت عنها ويعدل إلى غيرها ، بل إنه استنكر السكون والروعة والجلال وما إلى ذلك من الأوصاف التي تجتذب أولئك الشعراء إلى أماكنهم الحبيبة إليهم ، فلم يرقه شيء من ذلك بل شعر بالوحشة والملل فيها ، قال :

على الشاطئ المهجور قضيت حقبة ... من الدهر محزون الفؤاد وحيدا

يباب خلا من كل أنس وبهجة ... يمر به الدهر الممل وئيدا

تمر به الأيام جرداء مثله ... فلست ترى فيما تراه جديدا

ويمضى على هذا النحو في التبرم بتلك الأماكن القفرة ، حتى يقول :

حننت إلى الإنسان في خلواتها ... وإن كان شيطان الخصال مريدا

ألا ليتني ألقى عدوى فأرتمى ... على صدره سهل القياد سعيدا

فلم يعد الليل الرتيب يشوقنى ... ولا البدر وضاح الجبين فريدا

ولا الريح تشدو ولا الموج راقصا ... ولا الشط منداح الرمال مديدا

حننت إلى شط يموج بأهله ... ترى فيه حفل الغانيات نضيدا

والذى استرعى انتباهى في هذا الشعر وأطربنى منه ، قيمة هذه للشاعر والصدق في التعبير عنها ، فالشاعر يضيق بالليل والبدر والموج ، ويحن إلى الإنسان مهما كان ، ويشتاق إلى لقاء عدوه ليرتمى على صدره — لأنه إنسان !

هل يباح التعليم الجامعى لكل من يطلبه ؟ :

جاء في « كشكول الأسبوع » الماضي أن البحث في المؤتمر الثقافي العربي القادم سيدور على مسألتين ، إحداهما : هل من الخير للدول العربية أن تبيح التعليم الجامعى لكل من يطلبه أو تقتصر على قبول المتفوقين . والموضوع حقيق بالنظر . نحن الآن تقبل في التعليم الجامعى كل من يطلبونه تقريباً ، وهم كثيرون لا يرد منهم إلا القليل ، حتى ازدحمت الجامعة ، وتعذر إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة ، وتعذر قيام الصلاة المرجوة بين الطالب والأستاذ . ويتخرج في كليات الجامعة كل عام مئات المنتهين منها ، قل أن تجد فيهم من تكون تكويناً جامعياً حقيقياً . ومعنى ذلك أن الجامعة لا تتريل المنضمين إليها ، لتعرف ذوى الاستعداد للدراسة الجامعية من غيرهم ، وكل ما تقيس به هو « التفوق » في الشهادة التوجيهية ، وليس هذا للقياس دقيقاً لأن هذا التفوق كثيراً ما يكون في تحصيل المعلومات وحفظها ، أما العقلية الدراسية فشيء آخر ، وقد يتخلف صاحبها في التحصيل والاستظهار . ومن ثم أشير بأن يعدل تعبير اللجنة الثقافية بإبدال ذوى الاستعداد للدراسة الجامعية بـ « المتفوقين » .

وأذكر أن خطاب العرش لافتتاح الدورة البرلمانية في العام الماضي ، تضمن أن الحكومة تهتم بإنشاء معاهد للتعليم الفنى العالى تتلب



الأستاذ السيد أحمد مصطفى

توماس مان :

عند ما وصل توماس مان الروائي الألماني الأشهر لندن في أواخر شهر مايو الماضي أخبره ناشرو كتبه Seckes and waeburg بأن متوسط ما يباع من كتابه الأخير (الدكتور فاوستس) يبلغ الثلاثمائة نسخة في اليوم الواحد . هذا بالرغم من أنه ليس من الروايات التي يستطيع عامة القراء هضمها بسهولة ، وأن النقاد لم تجتمع كلمتهم جميعاً في الإشادة به والثناء عليه .

وفي خلال إقامة الدكتور مان بانكلترا سجلت له دار الإذاعة البريطانية أحاديث أدبية متنوعة ، كما كلف بإلقاء محاضرات عن (جوت) في جامعة أكسفورد (باللغة الألمانية) وفي جامعة لندن (باللغة الإنكليزية) وذلك قبل أن ينهي رحلته التي يقوم بها الآن إلى قارة أوروبة .

ومع أن الروائي الألماني الكبير لم يكن ينوي زيارة ألمانيا في بادئ الأمر ، إلا أن الدعوة التي وصلته من فرانكفورت ، وجائزة جوت (أرفع جائزة يمكن أن ينالها مؤلف أديب) التي أنعم بها عليه ، غيرتا رأيه في هذا الخصوص . فقرر السفر إلى ألمانيا ، والاشتراك في حفلات ذكرى جوت التي أقيمت هناك في اليوم الثامن والعشرين من شهر أغسطس الماضي وذلك لمناسبة مرور مائتي عام على مولد هذا العبقري الألماني الفذ .

أريكا :

وترافق الدكتور مان في رحلته الأوروبية هذه زوجته وكبرى بناته الثلاث ؛ أريكا المرحة اللطيفة الروح ذات الشعر التام والتي تجتاز أواسط العقد الرابع من عمرها الآن ، وتتكلم الإنكليزية بطلاقة عجيبة .

وأريكا هذه هي التي تمكنت من إنقاذ النسخة الأصلية من رواية أبيها (يوسف وإخوته) وحالت دون وقوعها في أيدي النازيين على أثر استيلائهم الفاجئ على مقاليد الحكم في ألمانيا ، حيث صادف أن كان أبواها آنذاك يقضيان عطلتهما السنوية في سويسرة .

وقد هربت أريكا هذه الرواية التي لم تكن حينذاك سوى مسودات لتذهب إلى سويسرة بعد أن خبأتها في صندوق الأدوات في سيارة من طراز فورد .

أسرة أدبية :

وأريكا في الوقت نفسه أديبة موهوبة ومؤلفة طائفة من الكتب الرائجة ... ومن آثارها الأدبية كتاب قامت بتأليفه بالاشتراك مع أخيها الأصغر منها سناً (كلاوس مان) صديق أندريه جيد المؤلف الفرنسي الذائع الصيت ومترجم حياته ...

ويقيم أفراد هذه الأسرة الأدبية في سان ريمو بكاليفورنيا ، وعلى بعد مسافة قليلة منهم ، في بيفرلي هيلز ، يقيم هنريخ مان الشقيق المؤلف لحائز جائزة نوبل .

القصة الطويلة :

أخذت القصة الطويلة تعود إلى الظهور مرة ثانية في لندن على أثر انتهاء الحرب وعودة الأمور إلى مجاريها وزوال العقبات التي كانت تعترض طريق المؤلفين والأدباء في الحصول على القدر الكافي من الورق لطبع مؤلفاتهم وإخراج كتبهم .

ويستطيع المتفرج والمتنقل بين مختلف مكتبات لندن ودور نشرها أن يشاهد بغير عناء أن الكتب التي تبلغ صفحاتها الخمسمائة فما فوق ليست بالقليل النادر هناك في هذه الأيام .

ثمة كتابان ظهرا في خلال هذا العام أربى عدد صفحات كل منهما على الـ (٧٠٠) صفحة ؛ هما (النيل والقصر) للكاتب الإنجليزي (هتجنسون) و (العالم غير كاف) و (زوى أولد - بنركي) كما أن هناك كتباً أخرى مماثلة آخذة طريقها إلى الظهور الآن .

ومن الكتب التي امتازت بحجمها الكبير أيضاً قصة (الدكتور فاوستس) لتوماس مان التي نقلت إلى الإنجليزية ونشرت في لندن في الربيع الفائت ، فقد بلغ عدد كلماتها (٢٠٠/٠٠٠) وصفحاتها (٥٢٠) ولكن فاقتها في الطول قصة (العاري والميت) للكاتب الأمريكي نورمان ميلر التي أثارت عاصفة من النقد في بريطانية عند ما ظهرت طبعتها الإنجليزية

هناك منذ عهد قريب . أما أطول الكتب في هذه السلسلة فهو بلا نزاع كتاب (Raintree) بقلم روز لوكريدج الذي سيظهر قريباً والذي ستبلغ صفحاته أكثر من ألف صفحة كاملة .

كتب التراجم أيضاً :

ليست القصص وحدها التي أتيح لها أن تفوز بكل هذه الزيادة في عدد صفحاتها بل أن الأمر شمل كتب السير والتراجم أيضاً ، فأخذت تنعم هي كذلك بما تنعم به أختها القصة من المجال الفسيح والمضطرب الواسع — فترجمة (روزفلت) الجديدة بقلم أحد أساتذة جامعة مدينة الكاب بجنوبي أفريقية تقع في (٧٠٠) صفحة ، وترجمة (تولستوي) للأستاذ أرنست سيمون في (٩٠٠) صفحة ، وكتاب للمؤلف الإنجليزي هالدى وعنوانه (شكسبير وناقدوه) في (٥٠٠) صفحة .

كتب « حرب » :

ذكرت مجلة (جون أولندن) الأدبية الإنجليزية أن الكتب التي تقوم حوادثها على أساس ما وقع في الحرب الأخيرة من أحداث لم تعد تثير اهتمام الناشرين الإنجليز وتجلب انتباههم في هذه الأيام مثلما كان عليه الحال في الماضي القريب ، هذا بالرغم من أن هناك حرب « ضربت رقماً قياسياً في الرواج والانتشار في خلال الاثني عشر شهراً الأخيرة ، مثل : قصة (الناري والليت) لنورمان ميلر ، التي لا تزال في طليعة الكتب الرائجة ، وكتاب « Cry , the Beloved Country » لمؤلفه (الآن باتون) الذي ظهر في الخريف الماضي وأعيد طبعه تسع مرات حتى الآن — وكتاب « From the city from the Plough » للكاتب الإنجليزي الكسندر بارون . هذا ، وستظهر لهذا الأخير طبعة أمريكية في نيويرك في الخريف القادم .

أما في أمريكا فالاقبال على كتب الحرب لا يزال على أشده . وقد نالت قصة (الأشبال) التي صدرت أخيراً لمؤلفها أروين شو استحساناً عاماً من النقاد ، كما أن الأديب الأمريكي المعروف (هيمنجوى) يعمل الآن بجد لوضع قصة جديدة تقوم على أساس اختباراته وتجاربه في حملة نورماندى حيث كان مراسلاً حربياً هناك في خلال الحرب العالمية الثانية .

ضعف الإنتاج الأدبي في تركيا :

قرأنا في أحد أعداد مجلة (شادروان) الأدبية التركية التي يقوم بإصدارها الشاعر التركي المعروف (بهجت كمال چاغلار) ملخصاً لخطاب مستفيض ألقاه الروائي التركي الشاب موفق إحسان جاران في حفلة افتتاح معرض (المؤلفين الأتراك المحدثين) الذي أقيم أخيراً في استانبول ، ندد فيه بحالة الأدب والأدباء البائسة في تركية ، وعدم استطاعة المؤلفين الأتراك إنتاج آثار أدبية تضاهي ما ينتجه زملاؤهم أدباء الأمم الأخرى المعروفين ، في القوة والجودة . وقد عزا المؤلف الناشئ عدم ظهور أديب تركي يأخذ موضعه بين الخالدين العالميين حتى الآن إلى العوامل التالية :

١ — إن الذين يعرفون القراءة والكتابة في تركية قليلون. (ولا يمكن اعتبار القارئ مشجعاً حقيقياً للأدب العالى الرصين إلا إذا كان مثقفاً ثقافة حقيقية) .

٢ — إن الذين يعتبرون أنفسهم من عشاق الأدب ومحبيه لم يتعودوا اقتناء الكتب الأدبية وجمعها وإنشاء مكتبات أدبية خاصة في بيوتهم .

٣ — إن اللغة التركية ليست منتشرة انتشاراً كباقي اللغات العالمية ، وفي ذلك ما يثبط همم المؤلفين الأتراك من الناحيتين : المادية والمعنوية ، ويعرقل سيرهم قدماً إلى الأمام في طريق الخلق والابداع .

٤ — إن المؤلف هو الشخص الوحيد الذي لم تتضاعف أرباحه في موجة الغلاء التي اجتاحت المملكة بسبب الحرب الأخيرة (فعند ما تشترى كتاباً بـ (٢٥٠) مليماً فإنك لا تدفع للمؤلف سوى ستة مليمات فقط ، وقد صادف أن يبعث حقوق مؤلف تزيد على مائة صفحة بأقل من جنيه مصرى واحد) .

٥ — حالة التوزيع سيئة للغاية ولا يمكن الثقة بالباعة الذين هم في خارج المدن الكبيرة بأي حال من الأحوال ، فهم لا يهتمون ببيع الكتب ، وإن اهتموا فلا يسلمون أثمان الكتب التي يبيعونها إلى أصحابها .

٦ — الدولة غير سخية ولا متساهلة ، مع المؤلفين الوطنيين فهي تغدق خيرها على المؤلفات الأجنبية التي تنقل إلى اللغة التركية بغير حساب وتغل يدها إلى عنقها عند ما يأتي دور



نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٦ —

يجمل بي قبل أن أستأنف كتابة الحلقة السادسة من هذا البحث أن أعرض بالنقد لما نقدت به في بريد الرسالة .

أما النقد الأول ، فقد كتبه الأستاذ عدنان وجعل عنوانه «لفظة في بيت». قال : « في مقال للأستاذ السيد أحمد صقر حول كتاب « نظرات في كتاب الأشربة » للأستاذ كرد علي بك » . وفي هذه الجملة خطأ طريف ، فإني لا أنقد كتاباً اسمه « نظرات في كتاب الأشربة » للأستاذ كرد علي بك ، وإنما أنقد كتاب « الأشربة » لابن قتيبة التي نشره الأستاذ كرد علي ، ولكي يستطيع القارىء متابعة النقاش في يسر وسهولة أنقل ما قلته أولاً ، وما عقب به الأستاذ عدنان ثانياً .

قلت (ع ٨٣١ ص ٩٦٣) « في ص ٣٧ ، ٣٨ من الأشربة » وقد شهر المتاشرون على الشراب بسوء العهد ، وقلة الحفاظ ، وأنهم صديقك ما استغنيت حتى تفتقر ، وما عوفيت حتى تنكب ، وما غلت دنانك حتى تنزف ، وما رأوك بعيونهم حتى يفقدوك ، قال الشاعر :

أرى كل قوم يحفظون حريمهم ... وليس لأصحاب النبيذ حريم
إذا جئتهم حيوك ألفاً ورحبوا ... وإن غبت عنهم ساعة فذميم
إخاؤهم ما دارت الكأس بينهم ... وكلهم رث الوصال سؤوم
فهذا ثباتي لم أقل بجهالة ... ولكنني بالفاسقين عليم

والصواب « فهذا ثنائي » كما في العقد الفريد ٤/٣٢١ وليس للثبات هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه »

وقال الأستاذ عدنان في تعقيبه « بل للثبات هنا معنى يستقيم به نظم الكلام وهو إلى الصواب أقرب مما ورد بالنقد ، وذلك لسببين : الأول أن الشاعر يقرر حالة هي إلى قدح القادح أقرب منها إلى « ثناء » المادح ، وأي « ثناء » كذلك الذي يوجه إلى قوم لا يحفظون الحرم وينقلبون بين الجيئة والذهاب من حب إلى بغضاء ومن وفاء إلى عداء . والثاني أن الأستاذ الناقد فهم من « الثبات » أنه الدوام والاستقرار ، ومن ثم كتب ما كتب معتمداً على رواية العقد وهي كما سبق رواية لا يزكيها واقع الحال . وإنما يقال في مقام التصحيح أن « الثبات » بمعنى الحجة والبرهان تقول: لا أحكم بكذا إلا بثبت أو بثبات أي بحجة وبرهان ودليل».

ليس في كلام الأستاذ عدنان ما يجعلني أعدل عن رأيي في أن الثبات ليس لها هنا أي معنى يستقيم به نظم الكلام ويقوم عليه بناء معناه ، وأما تفسيره له بمعنى الحجة والبرهان فتكلف وتمحل وتعمل ينبو عنه الذوق الشعري . وهل يقول شاعر «فهذا ثباتي»؟ وليس في كتب اللغة التي بين أيدينا (ثبات) بمعنى الحجة والبينة ، وقد جاء في اللسان : « الثبت بالتحريك الحجة » وتقول أيضاً : لا أحكم إلا بثبت أي بحجة » ولست أدري من أين جاء الأستاذ « بثبات » .

والذي حمل الأستاذ على أن يتكلف في تصحيح « الثبات » هذا التكلف البعيد أنه لم يفهم معنى «الثناء» ، وعجب من أن أقول

... المؤلفات التي يضعها الأدباء الأتراك .

٧ — ليس ثمة قانون يحمي حقوق المؤلف حسبما تقتضيه الظروف والأوضاع الجديدة (فالقطع التمثيلية التي تمثلها مختلف الفرق في طول البلاد وعرضها لا تأتي للمؤلف بمليم واحد ، وقد يهمل أصحاب هذه الفرقة حتى سلوك مسلك الأدب واللباقة مع المؤلف ، ومجاملته في الحصول على موافقته على تمثيل رواياته ، بل وقد يجهل المؤلف نفسه جهلاً تاماً أن رواياته تمثل هنا وهناك من أنحاء البلاد) .

٨ — لماذا يدفع الناشر أجراً للمؤلف ما دام هناك طريق ترجمة أرقى الآثار الأدبية العالية — ولو ترجمة هزيلة — مفتوحاً أمامه بلا رقيب أو حسيب ؟ .. وما دام أن ليس ثمت أي تشريع يلزمه ولو بدفع مليم واحد لأصحابها الشرعيين ...

وقد أكد الروائي الشاب بعد ذلك أنه ما لم يعثر على علاج شاف لهذه الأدواء الثانية ، فإن ظهور الأديب التركي العالي الرتيب سيتأخر كثيراً إن لم يكن أمراً عسير التحقق ، بعيداً عن التصور .

(العراق — أربيل) السيد أحمد مصطفى

إن الصواب « فهذا ثنائى » فقال « وأى ثناء ذلك الذى يوجه إلى قوم لا يحفظون الحريم الخ » . ولو قد عرف الأستاذ حقيقة الثناء لما قال ذلك بل لما كتب من نقده حرفاً واحداً . إن الثناء ليس مدحاً فقط بل هو ذم أيضاً ، يستعمل في الخير والشر على السواء ، وقد ورد في شعر زهير :

سيأتى آل حصن أين كانوا من المثلات ما فيها ثناء

وفسر بالوجهين : فمن قال إن « ما » نافية قال : إن الثناء بمعنى المدح ، ومن قال إنها موصولة قال : إنه بمعنى الهجاء . جاء في لسان العرب « الثناء ما اتصف به الإنسان من مدح أو ذم وخص بعضهم به المدح . الثناء ممدود : تعمدك لتثنى على إنسان بحسن أو قبيح . أثنى يثنى إثناء أو ثناء يستعمل في القبيح من الذكر في المخلوقين وضده » .

وإذا كان الثناء يستعمل في الذم في أصل اللغة فليس هناك ما يدفع قولى إن الصواب « فهذا ثنائى » على أنى وجدت البيت رواية أخرى حيث إليها نفسى وهى كما في نهاية الأرب ٤ / ١٠٨

فهذا بيانى لم أقل بجهالة ولكننى بالفاسقين عليم

براع لا براعوا :

أما النقد الثانى ، فقد كتبه الأستاذ « عمر إسماعيل منصور » وجعل عنوانه « براعوا لا براع » وأنا أورد ما قلته وما قاله على نحو ما فعلت في سالفه .

قلت في العدد ٨٣٣ وفى ص ٣٨ من الأشربة : وقال آخر :

بلوت النبيذيين في كل بلدة فليس لأصحاب النبيذ حفاظ
إذا أخذوها ثم أغنرك بالمنى وإن فقدوها فالوجوه غلاظ
مواعيدهم ريح لمن يعدونه بها قطعوا برد الشتاء وقاظوا
بطان إذا ما الليل أتى رواقه وقد أخذوها فالبطون كظاظ
براغ إذا ما كان يوم كريهة وأسد إذا أكل الثريد فظاظ

وعلق الأستاذ محمد كرد على على هذه الكلمة بقوله في ح : براعوا .

والصواب « براع إذا ما كان يوم كريهة » جاء في لسان العرب « اليراع : القصب واحدته يراعة . والداعة ، واليراع : الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب أنشد ابن برى لكعب الأمثال :

ولا تك من أخدان كل يراعة
هواء كسقب البان جوف مكاسره »

هذا ما قلته ولكن الأستاذ « عمر » لم يرقه قولى واتهمنى بعدم الفهم وقلة الإدراك بل بعدمه أيضاً وإليك ما قال : « وأقول إن براعوا هى الصواب ، وهى من الروع بمعنى الفزع ، قال قطرى ابن الفجاءة :

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لن تراعى

ولو قرأ الأستاذ الفاضل هذه الأبيات لأدرك أن الكلام عن جماعة لا عن فرد ، وأن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للفرد فقط . قال في الأساس « ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ويراع قال : فارس في اللقاء غير يراع»

ولست أدرى كيف يكون « فاضلا » من ينقل أبياتاً لشاعر يقول فيها « بلوت النبيذيين ومواعيدهم ريح قطعوا بها برد الشتا وقاظوا » ثم لا يدرك « أن الكلام عن جماعة لا عن فرد » كما يقول الناقد ونضرب صفحاً عن هذا اللغو ونأخذ في مناقشة كلامه فإن ذلك أخلق بنا وأحجى .

يزعم الناقد المدرك أن الصواب « يرعوا » من الروع بمعنى الفزع ولو كان يعرف أن يراعوا فعل مضارع ، وأن كل مضارع اتصلت به واو الجماعة يرفع بثبوت النون وينصب ويجزم بحذفها لما قال إن الصواب « يراعوا » ولساءل نفسه : أين النون ؟ ولم ذهبت ؟ ويزعم الناقد صاحب المدارك الثاقبة « أن يراعا بمعنى جبان لا تصدق على الجماعة إذ تأتى للفرد فقط !! وهـذا زعم لا حقيقة له لم يقله أحد من علماء العربية ، ولكن الناقد افتراه وأوهم القارىء أنه اعتمد في نفيه على الأساس حيث يقول : (قال في الأساس ومن المجاز قولهم للجبان الذى لا قلب له هو يراعة ، ويراع » . وأنا أنقل للقارىء نص كلام الزمخشرى في الأساس ليعلم كيف دلس الناقد في نقله وكيف فهم منه ما افتراه . قال الزمخشرى في ص٥٦١ « وقع الحريق في اليراع : في القصب ، قال المسيب ابن علس :

ومها يرف كأنه إن ذقته عانية شجت بمساء يراع

أراد قصب السكر . ونفخ الراعى في اليراعة ، وكتب الكاتب باليراعة ، قال :

أحن إلى ليلى وقد شطت النوى بليلى كما حن اليراع المثقب

أى المزامير . وغشى اليراع الوجوه . وهو شبه البعوض . ومن المجاز قولهم للجبان الخ » .

وهذا النص صريح في أن اليراع : هو القصب ، وأن اليراع المثقب المراد به المزامير ، وأن واحدة هذا كله يراعة .

ولست أدرى كيف قرأ الأستاذ هذا الكلام ولا كيف طواه لئلا يناقض دعواه ، ولكن الذى أدريه أن الأستاذ لم يفهم كلامى

ولم يفطن إلى معنى النص الذى نقلته من اللسان ، وكان فيه الغناء لو تدبره . لقد قلت إن الصواب « يراع » ونقلت ما فى اللسان من أن اليراع : القصب واحدته يراعة ، واليراعة واليراع الجبان الذى لا عقل له ولا رأى ، مشتق من القصب » .

ولكن الناقد المدرك لم يفطن إلى أن هذا النص صريح فى أن اليراع اسم جنس . واسم الجنس هو ما يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، جاء فى المخصص ١٦/١٠٠ « باب دخول التاء فرقاً بين الجمع والواحد منه ، وذلك نحو تمر وتمرة وبقر وبقرة وشعير وشعيرة وجراد وجرادة فالتاء إذا ألحقت فى هذا الباب دلت على المفرد وإذا حذفت دلت على الجنس والكثرة ، وإذا حذفت التاء ذكر الاسم وأنث ، وجاء التنزيل بالأمرين جميعاً ... » .

واليراع واليراعة كالزِّباب والزِّبابة جاء فى اللسان : « الزِّباب : جنس الفأر لا شعر عليه . قال الحارث بن حلزة :

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد لأنهم صم طرش ، والعرب تضرب بها المثل فتقول أسرق من زبابة ، ويشبه بها الجاهل ، واحدته زبابة » .

على أن سير الأبيات يتطلب كلمة « يراع » ولو جاز أن يقع الفعل موقعها ؛ لأن الشاعر وصف النبيذيين قبل ذلك بأنهم « بطان » ووصفهم بعد ذلك بأنهم « أسد » وسبيل يراع فى المجاز كسبيل « أسد » ومع ذلك فإننا إذا نحينا المجاز جانباً ولجأنا إلى الحقيقة وعينا الجبان باسم « يراع ويراعة » كان الجمع فيهما « يراع ويرعات » . ورحم الله الشافعى إذ يقول : « فالواجب على العالمين ألا يقولوا إلا من حيث علموا ، وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه منه لكان الإمساك أولى به ، وأقرب إلى السلامة له » .

* * *

ونرجع إلى ما كنا فيه من بيان الأوهام فى كتاب « الأشربة » فنقول :

٤٥ — جاء فى ص ٣٤ : « قال عثمان رحمة الله عليه : ما تغنيت ولا تفتيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام » .

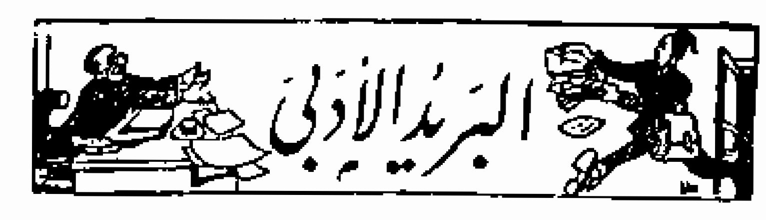
وشرح الأستاذ كرد على معنى « ولا تفتيت بقوله : ولا تشبهت بالفتيان » ! ومعاذ الرجولة أن يقول ذلك عثمان عن نفسه ، ومعاذ الأدب أن يظن به ظان أنه يمكن أن يقوله ، ومن يتشبه عثمان إذا لم يتشبه بالفتيان ؟ إن فى العبارة خطأ لم يفطن إليه الأستاذ ، وصوابه : « ما تغنيت ولا تمنيت » أى ولا كذبت جاء فى النهاية ١١٩/٤ « وفى حديث عثمان : ما تغنيت ولا تمنيت ، ولا شربت خمراً فى جاهلية ولا إسلام . وفى رواية : ما تمنيت منذ أسلمت ، أى ما كذبت . التمنى : التكذب ، تفعّل من منى يمنى إذا قدّر لأن الكاذب يقدر الحديث فى نفسه ثم يقوله . قال رجل لابن دأب وهو يحدث : أهذا شىء رويته أم شىء تمنيته ؟ أى اختلقته ولا أصل له » .

وقد كان ابن دأب هذا — واسمه عيسى بن يزيد — من أحسن الناس حديثاً وبياناً ، وكان شاعراً راوية وافر الأدب ، صاحب رسائل وخطب غير أنه كان يضع الأشعار ويزيد فى الأحاديث ما ليس منها . وناهيك برجل يسمه خلف الأحمر بالكذب ويسمه بأنه آفة ، وفيه يقول ابن مناذر :

ومن يبغ الوصاة فإن عندى	وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون	ولا ترووا حديث ابن دأب
ترى الهلاك يتجنبون منها	ملاءً من أحاديث كذاب
إذا طلبت منافعها اضمحلت	كما يرفض رقراق السحاب

وقد توفى ابن دأب فى سنة إحدى وسبعين ومائة فى أول خلافة الرشيد . وترجمته فى لسان الميزان ٤/٨٠٤ وتاريخ بغداد ١١/١٤٨ والمعارف ٢٤٤ ومعجم الأدباء ١٦/١٥٢ .

(يتبع) السيد أحمد صقر



مصحف من عهد عثمان بن عفان في روسيا :

هكذا نشرت الأهرام بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ من أغسطس سنة ١٩٤٩ .

وإذا كان المشتغلون بالحفريات ، وبالتنقيب عن الآثار ، يسرهم أعظم السرور وأطيبه ، أن يجدوا قطعة حجر متآكلة ، قد نقشت عليها بضع كلمات ؛ رجاء أن يقدموا إلى العلم شيئاً ؛ وإن يكن تصحيحاً لتاريخ وفاة أمير ، أوميلاد وزير ، أو نسب وليد ، فقدر كم يكون سرور المعنيين بالمخطوطات ، حين يجدون كتابا ضخما ، يحوي بين دفتيه كثيراً من العلوم والمعارف ، والآراء والنظريات ؟! خصوصاً إذا كان موغلا في القدم ، ويرجع تاريخه إلى ما يقرب من الثلاثة عشر قرنا .

وقدر كم يكون سرور المشتغلين بالإسلاميات على وجه العموم وسرور المسلمين على وجه الخصوص ، إذا كان هذا المخطوط ، هو المصدر الأول لعقائد المسلمين وثقافتهم ؟!

إنه لا يداخل المسلمين أدنى شك ، في صحة كتابهم ، ولا في شيء مما يحتويه من آي هي غرر البيان ومعجزة الدهر ؛ تتقدم العلوم ، وتتسامى الفهوم ، وتتكشف الحقائق ، وتنجلي الغوامض ؛ ولا يزيده ذلك إلا ثباتاً ورسوخا ، واتفاقا ووضوحا ؛ حتى لقد كان أن يعد لدى الباحثين على اختلاف مشاربهم ، وتباين ميولهم ونزعاتهم ، معيار الحقيقة ، يكون حظ الفكرة من القبول أو الرفض بمقدار ما تنال من القرب منه أو البعد .

ولكن هذا لا يمنع من أن يداخلهم سرور أي سرور ، حين يجدون لهذه النسخ التي بين أيديهم أصلا يرجعون إليه ، ويطابقونها عليه ، ليكون النسب متصلا .

وإذا كان المسلمون الذين امتزج الإسلام بطبيعة وجودهم ، وجرى منهم مجرى الدم في شرايينهم ، لا يحسون أن هناك فراغا كان ينتظر هذا المخطوط ليشغله ، ولا أن هناك نقصاً جاء هذا المخطوط فكمله ؛ فهم على حق في حكمهم ؛ لأن العناية الإلهية قد تكفلت بحفظ الكتاب الكريم وصيانته من أن تمتد إليه يد بتحريف أو تبديل .

ولكنهم يكونون على حق أيضاً ، حين لا يغفلون ما عسى أن تختلج به نفوس غير المسلمين ، أو حديثو العهد بالإسلام من تساؤل حول نسب هذه النسخ التي بين أيدينا الآن .

وحين لا يغفلون ما تختلج به نفوس العلماء والباحثين ، من افتراضات واعتراضات ، تتطلب إجابات من نحو آخر ، غير تلك الإجابات التي تقوم على أساس من التفويض إلى ما تكفلت به العناية الإلهية .

وإن أنس لا أنسى ذلك الحرج الذي شعرت به حين وجه إلينا — أنا ونفر من هيأة التدريس بكلية أصول الدين — ذلك الشاب الأمريكي المسلم ، الذي حضر إلى مصر بعامة ، وإلى الأزهر بخاصة ، منذ عامين تقريبا ، ليتأكد من صحة إسلامه ، بعرضه على الهيأة المختصة ، وليؤكده بإزالة ما عسى يكون في نفسه من شبه وشكوك حول العقيدة ، على يدي العلماء المختصين بهذه الشئون . أقول : لست أنسى ما شعرت به من حرج حين وجه إلينا ذلك الشاب هذا السؤال الذي لم يكن لدينا جميعا جواب منه :

« هل يوجد لديكم أصل من مصحف عثمان ؟ وكيف يطمئن الباحث الحر إلى أن ما بأيديكم الآن هو صورة طبق الأصل منه ؟ »

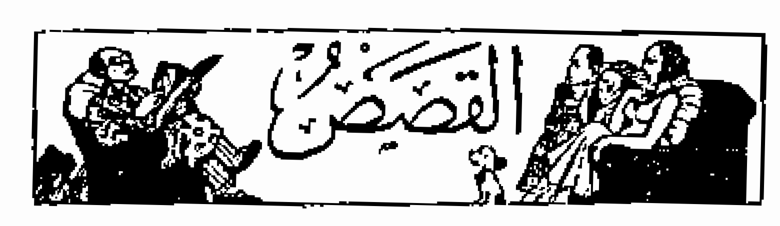
وقد شاءت إرادة الله أن نظفر بجواب هذا السؤال — وإن يكن بعد عامين — عن طريق هذا الأثر العلمي الجليل .

وإني لا أشك في أن فضيلة مولانا الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مأمون الشناوي شيخ الجامع الأزهر — بما عرف عنه من غيرة على الدين ، وحرص على خدمته ، وقصر الجهود على رفع شأنه — لن يدخر جهداً أو مالا في سبيل العمل للحصول على هذا الأثر العلمي الجليل ، الذي تكمل به مكتبتنا وتقوى به حجتنا .

وإني — ليشهد الله — لجد مشفق على هذا الأثر النفيس ، حين أنظر إلى صورته في الأهرام ، وهو بين يدي علماء التركستان ، يقلبون أوراقه ، ثم يبدون القراءة فيه ويعيدون ، وأخشى أن لا يكونوا مقدرين لقيمته العلمية ، وأنه أسمى من أن يستعمل للقراءة والاستذكار ؛ فتسرع إليه يد الفناء ، إذ حسبنا منه أن يكون أصلا نرجع إليه عند الضرورة .

فالعمل وفق للعمل على اجتلاب هذا الأثر وصيانته ، وإحلاله من نفوس أولي الأمر وعنايتهم في المكان اللائق به .

سليمان دنيا
مدرس الفلسفة بكلية أصول الدين
ومبعوث الأزهر بجامعة لندن



قلب محـــــروم ... !

للأستاذ غائب طعمة فرمان

[إلى صاحب القلب الكبير الذي كتب « من وراء الأبد » ... إلى صديقي الأستاذ أنور المعداوي أهدي هذه القصة]

عزيزي ...

حين تصلك رسالتي أكون قد غادرت أرض الكنانة ميمماً شطر وطني ... وبين جوانحي قلب مضطرب ، ونفس مفعمة بشتى الأحاسيس ... قلب جريح تجرع كؤوس الأسى مترعة ، ونفس عصفت بها رياح صارمة خلفت أرض مصر زهوراً ذابلة هي ذكريات ليال وأيام ؛ ستظل رؤى مرة في فكري لا يطردها النور ، وجذوة مستعرة في قلبي لا يخمدها تقادم العهد ، وتطاول الأيام .

كنت تسألني كثيراً والابتسامة على شفتيك عن سبب سكناي في مصر الجديدة ، والشقة بعيدة بينها وبين جامعتي ، فأقابل ابتساماتك بابتسامة ، ويظل سؤالك من غير جواب .

وأراني الآن مدفوعاً بقوة صارمة صادرة من أعماق إلى أن أقص عليك طرفاً من تاريخ قلبي ، علك تشاركني آلامه ، وأشجان دنياي .

لست أدري السر في أن الإنسان يستطيع أن يكتم كل شيء إلا الحب والبغض ، حتى أصبح هذان الأمران عمودين أساسيين للإنسانية : الحب يبني ، والبغض يهدم .

فلا جناح علي — إذن — في أن أقول لك : إنني أحببت ... نعم أحببت حباً امتزج بدمي ، وطوق روحي ، وشغلني عن كل

إلى معالي وزير المعارف :

مرحى يا معالي وزير المعارف والعلم والأخلاق ! مرحى أيها الرجل الغيور !

لقد أصبت إذ قررت أن ترتدي الطالبات والمدرسات ملابس طويلة تخفي معظم الجسد عملاً بالدين واحتراماً لمحاريب العلم والأخلاق . إنني إحدى المؤيدات من الطالبات أمثالي الضجيج الذي علا أخيراً في الصحف بين « المتمدنين » أنصار الإباحية وعجبت لمعارضاتهم التي لا تستند إلى حجة اللهم إلا « التقدم والرجعية » الكلمتين اللتين بليتا من كثرة الاستعمال بالحق والباطل .

يامعالي الوزير : ناشدتك الله ألا تلتفت إلى هذر أدعياء المدنية فالعلم بدون أخلاق مدرجة للشر وسبيل للفساد .

الطالبة

(ف . أ . ع)

حول قصر الخورنق :

في عدد سالف من الرسالة .. نشر الأستاذ كاظم المظفر .. تبحث عن « الخورنق » القصر المشهور بالحيرة .. وكانت طريقته في تأليف تلك السطور طريفة .. غاية بالطرافة .. إذ دس بها أقوالاً حول آثار العراق التاريخية .. كانت قد نشرت بنصها في مجلة الاعتدال النجفية .. كما أشار هو إليها ، وأقوالاً مثلها حول قصر الخورنق نشرت هي أيضاً في كتاب الحيرة للباحث القدير يوسف غنيمة — ولكنه لم يشر إلى هذا الكتاب إلا قليلاً — حيث شغله عنه ذكر بعض المصادر القديمة التي اعتمد عليها يوسف غنيمة من قبيل « الملة الإسلامية » و « الألفاظ الفارسية المعربة » و « حمزة الأصفهاني » و « البرهان القاطع » ...

والطريف هنا أن يوسف غنيمة كان يصوغ النصوص القديمة بتعبيره الحديث ويشير إلى أصولها في كتب القدماء ... فجاء كاظم فنسب هذه النصوص بألفاظها الحديثة إلى القدماء ليوهم أنه اطلع عليها رأساً . ولم يأخذها من كتاب الحيرة المطبوع . وإنا لو أردنا أن نبرز السطور التي أخذها من مصادرها ومن يوسف غنيمة خاصة لما ظل لكاظم المظفر من هذا المقال الطويل شيئاً ... إذ هو جميعه مأخوذ من هنا ومن هنا .. وإن حاول أن يخفي ذلك بذكره لكثير من المراجع التي لم ير أغلبها .

(بصره — عشار — عراق) قارئ

شيء ، فظللت أهيم في زورق ، والأمل سد أقطار الحقيقة عني ، ومنافذ النور عن بصيرتي ، ورحت أدنو إلى الشاطئ الثاني ، والضباب قائم من حولي ، وفي أغواري الظالمة واليأس المرير .

إنني لأذكر أول لقاء لي بها في أحد تلك المقاهي المخضلة الأضواء وقد عرفني بها ضابط مصري عشت معه في دار واحدة زمناً طويلاً ... وقد كانت شعلة من إغراء ، وقد بدت لي صغيرة ... صغيرة جداً حتى عبق في وجهي عطر الطفولة الآسر ... وكانت الابتسامة رين شفتيها كأنها تشجع القلب المحروم على أن يحب ...

... فتاة في العشرين من عمرها أجمل ما فيها عيناها السودوان المتألقتان كنجمتين في سماء غسلتها دموع الملائكة .

وقد تحدثنا كثيراً ، وكان حديثها عذباً ، حلو النبرات ، وشعرت بأن عينيها تحدثاني فأنصت إلى الإيقاع الروحي الصادر من الأعماق ... وبان لي أنها متذمرة كأنها تعيش في سجن ، خائفة كأنها تترقع شيئاً مؤلماً ، وكانت ثقافتها الفرنسية ذات أثر عظيم على نفسها ، بذرت فيها بذور الانطلاق ، ونسجت حول مخيلتها العوالم التي تخلقها قصص الحب ... والعاطفة الملتهبة .

ولما رجعت إلى بيتي لم أكن وحيداً ... فقد كان خيالها لا يبرح مخيلتي ، وما زلت أشم عطرها الآسر ، وألمح إبتسامتها الجميلة ... وكانت مني أحلامي المجنحة ... يا عجباً أبهذه السرعة تنبت ... فأشعر بظلالها تسمر فكري ؟

ورحت أنتظر صديقي والنوم هجر أجفاني ، والرؤى ملأت خالي ... ولما سمعت وقع أقدامه قفزت من فراشي ، وطفقت أتطلع إلى شفتيه المنفرجتين من إبتسامة ماكرة .

قال :

— أتعرف ماذا تقول عنك ... إنك في نظرها طفل غرير . بالمكر المرأة يا صديقي ... هل أحست بنظراتي تضرعاً ، وباختلاج شفتي ظمأ لرحمة ؟!

ثم قال : ولكنها تريد مقابلتك مرة ثانية .

فقفزت فرحاً كأني أبرهن على صحة نظرها ... وقلت : وحياتك يا صاح حدثني عنها ... أقصص على أخبارها ... أي نوع من النساء هي ؟ فصاح صاحبي .

— يالك من طفل ... أتعلقت بها من أول لقاء ؟

لا ... لا ... لم أتعلق بها ... ولكني أحس بتيار يجرف روحي إلى أن ألتقي بها وأنظر إليها . وأتحدث معها ... وأتملى سحر وجهها ... وأتحدث إلى عينيها الساحرتين ... وأغمر قلبي في وجهها الناظر !!

* * *

وفي اليوم الثاني ذهبت إليها .

وجلسنا في أحد مقاهي مصر الجديدة ، والأنوار في ألوانها المختلفة تخلق لنا في آفاق مخيلتنا عوالم غريبة ... والجو الساجي يرهف أعصابنا ، والنسيم المنبعث من وراء الأشجار المخضر ندي كأنه يداعب أحلامنا ، ويشرق في عالمنا بأطياف جميلة ... ومن خلف عالمنا السحري تتألق النجوم من بعيد كأنها أشباح لدنيا مسحورة مختفية في ضمير الأبد .

جلست إليها وهي أمامي ساحرة مشرقة القسمات ، وجفناها مسبلان بدلال على عينيها السوداوين ، وأنا أرتشف من كؤوس تشوقي ... ولاحت لي الأيام الماضية طلولا ينعق فيها غراب الوحدة ، وتصرخ في جنباتها ريح اليأس المرير ... وحرقت ذكرياتي كلها في نار وجدي ، وهمت في الأجواء البعيدة التي تخلقها حواء .. أنا المحروم من ... العائش في ضباب ، المسحور بتهاويل الأحلام .

وطال صمتنا ونطقت حواء أخيراً :

— ما بالك يا صاحبي ساهماً كأنك تفكر في المستحيل ؟

ولمت عيناها ، ووقفت أمام سؤالها حائراً . وأردت أن أصرخ في وجهها :

—أقسم لك إنها هذا حق ... فأنا في رحاب المستحيل .

ولكنني آثرت الصمت ، وانطلقت من شفتي ابتسامة هاربة كأنها جواب مبهم .

قالت : — إن الشباب دائماً يفكر في المستحيل .. أتخالني بعيدة عن عالمك الغامض ؟

— ولكن أية قوة قادتك إلى تلك الأبراج الشاهقة ؟!

— القوة التي تدفع الشباب إلى المستحيل ... ولكن لست أدري لم يهيم الشباب بالمستحيل ؟

— لأنه كثير الآمال ... وكل أمل يخبو يزيد حياته ظلمة ، وينقلب في سفر أيامه إلى ذكرى إخفاق ... مؤلم .

الآن بدأت أعرف لم يأت عمرى سحاب من الأحزان ... إن أشياء كثيرة تحزنني هي جراح أحلامي ... إن عمرى يذبل من غير غاية ... فأنا الآن في الشرق من عمرى ولم يتحقق حلمي الجميل .

وأشفقت على حلمها الجميل الذي لم يتحقق وشعرت بيد من حديد تهصر قلبي وأردت أن أقول لها .

أيتها الهائمة في الصحراء تفتشين عن حلمك الجميل ... أيتها الفراشة التي أصلتها نار الحرمان ، تأبي المروم ينا ديك ... أتسمعين نداءه ؟.. إنه يدعوك إلى أن تنفكي عن الماضي ومآسيه ، وتدخل في الجنة التي خلقتها عيناك له ... جنة أحلامه وأمانيه .

* * *

وافترقنا على ميعاد ... وظللنا نذهب إلى عرائش أحلامنا مدة طويلة .

وجئت إليها مرة وفي قلبي همس ... قلت

— اسمعي يا « نادية » في ضميرى سر يعذبني قد تكون اختلاجاتي نمت عليه ... إنني أحبك !.. من أعماق نفسي ، وإنك قد دخلت دائرة حياتي ، ولا يمكنني أن أخرجك منها . ولا يمكنني أن أنساك ... إن آلامك آلامي ، وآمالك آمالي ، وقلبي يدعوك إلى أن نسير جنباً إلى جنب في طريق الحياة .

نضغطت يدى وابتسمت عيناها ... ثم شفتاها ... وقالت :

كأنك تقرأ أفكاري ... فأنا أخاف من طريق حياتي هذا القفر .

... وعندما رجعت إلى بيتي كنت إنساناً جديداً

أقسم لك يا عزيزى لقد تغيرت نظرتي إلى الحياة ... فقد تخيلتها إلى جنبي ملكاً حلالاً لي ... أنا وحدى ... أنا التي قطعت حياتي في صحراء الوحدة ... أنا التي أذبل قلبي الحرمان والظمأ القاتل إلى الحنان ... إلى الصدر العامر بحبي والإخلاص لي . إلى القلب الذي يضمد جراحي ... إلى الروح التي تنشلني من الأوحال ... دنياى المظلمة القاتمة المضطربة التي لا تستقر على قرار .

وبنيت في خيالي بيتي المنتظر ... بيتاً بسيطاً لاثنين . .

وتخيلتها إلى جنبي زهرة تندى بالعطر ، وتملأ حياتي حبوراً ، وروحي قوة وحيوية ، وترد لي سعادتي الضائعة مع الأوهام .

كانت الدنيا في عيني جميلة بهيجة ، حتى لقد أسفت على عمر قضيت شطراً منه في عمى وجداني من غير شعور ببهجة الدنيا وجمالها ... وشعرت بأن الناس يشاركونني أفراحي فقد رنت في أذني ضحكاتهم ، وابتساماتهم الحلوة ، وانطلاق أساريرهم ، ودلائل السعادة في محياهم ... ووددت أن تكون معي لتشاركني بما أشعر به من سعادة .

... ووصلت إلى البيت فرأيت بطاقة من صديقي الضابط يقول : إنه سافر إلى الأسكندرية لعمل هام يتطلب منه أن يغيب عشرة أيام ... أو أكثر .

... ولم أعر الخبر شيئاً من اهتمامي لعلمي بما تقتضيه الحياة العسكرية من تنقل مفاجئ ... وفي أصيل اليوم ذاته سمعت أن « نادية » سافرت إلى « رأس البر » لقضاء أسبوع مع أقاربها . وقد تركت لي رسالة تخبرني بذلك .

وظللت حائراً أمام هذه المصادفة العجيبة ... ورأيتني لجادة وحيداً إلا من وساوسي وخيالاتي ، وأشواقي المضطرمة .

أنت تعرف — يا عزيزى — أن الوحدة لدى الإنسان العادي جحيم لا يطاق .. فكيف بوحدة الإنسان المتلىء بالظنون ، المتأرجح في الأجواء ، تتلاقفه الأهواء ، وتستبد به الخيالات ، ويحس بشوق إلى أكتناه حجب المستقبل .

لقد تعذبت كثيراً وتحطمت أعصابي تحت أعباء الظنون القاسية ، وهزت نفسي هزات من القنوط ، وصرت صريع دياجير من أفكاري وتصوراتي .

وأخيراً رجع صاحبي ... ومعه زوجته

لست أعرف السر في إخفاء خبر زواجه عني أنا الصديق القريب له .

وبعد يومين رجعت نادية ... وفي مساء اليوم ذاته ألتقيت بها ... وكانت معي « دبلة » تختنق في حياء إحدى زوايا جيوبي .

ولكني رأيتها صورة ثانية .. كأنني لم أرها قبل عشر سنوات ولمحت على وجهها اكتئاباً عميقاً ، وفي عينيها شروداً وغموضاً ، وفي اختلاج صوتها رنة من العبرات المحبوسة .

تكلمت في مواضيع مختلفة ، ولكنها لم تتطرق إلى موضوع

زواجنا ... أنسيته أم تناسته ، أم ندمت على ما قاله ؟ .. لست أدرى فقد بلغ الغيظ منى مبلغاً عظيماً وأحسست بأن الأرض من تحتى تتحول إلى رمال هشة ، وتحاول أن تبتلعنى .

قلت لها :

— أنسيت ما عاهدتنى عليه ؟

أى عهد ؟

— أى عهد ؟! نسيت أحلامنا وأمانينا ؟

سكتت وشردت بصرها إلى النجوم التى تطل على عالمنا ساخرة كأنها تضحك من مآسينا ... ورأيتها تمسك يدى وتقول :

فلان ... أنت عزيز على ... إننى أشفق على حياتك أن تتحطم ، وعلى روحك أن يعصف بها إعصار ... لهذا فأنا لا أوافق على الخطبة ! !

... عزيزى الأستاذ لقد حدثتك من الأحلام التى كانت تمر فكرى — وعجبت من سرعة إزدهارها . لقد ذبلت اليوم بسرعة أيضاً — وها أنا أحس بقسوتها وضراوتها فى فكرى

قالت :

— أنت الآن فى نظرى صديق عزيز أثق بقلبه ، واطمئن إلى إنسانيته ، لهذا سأقص عليك سراً كتمته من جميع أصدقائى وأوثق الناس بى صلة — الماثلة أمامك فتاة تجرعت صاب الخديعة، ولقيت جزاء سذاجتها وبراءتها ، وطيبة قلبها ... لقد كنت أتصور الدنيا خالية إلا من الحب والطيبة فأوغلت فى دروبها منقادة بإنطلاق حتى تعرفت على رجل ! صورته ليالى سهادى ملاكاً يمثل التضحية على وجه الأرض ، وانجرفت مع تيار تصوراتى إلى شاطئه ، فأحببته من صميم قلبى ، حباً جارفاً مجنوناً عاصفاً حتى رحت أهرع إلى صدره حين يستبد بى الضجر ، وتزرع الدنيا بذور الأحزان فى قلبى . . لقد كنت أقرأ كثيراً مما يكتبه الفرنسيون المصابون بهستريا الحب ، فأنساح إلى آرائهم وأدخل فى جنائن تخيلاتهم ، وأهيم فى الأودية التى تخلقها أفكارهم .. وأمتص رحيق الحب المحرق من شفتى محبوبى !!.

كان صاحبى يعدنى بالزواج ، ويمنينى بالأمانى العذاب ، ويطفئ ظمئى بالقبلات ... ولكنى والحمد لله ما زلت محتفظة بجوهرتى الغالية على دفع إغرائه وتوسله ، وخورى أمام قوته الجارفة !!

ولكن الأيام والليالى تمر بسرعة غير متوانية ... وصاحبى صامت إلا من إحراق أزهار أحلامى ، حتى رأيت حبه لى يتحول إلى فتور ، وشوقه ينقلب إلى نفور ، وأرانى وحيدة إلا من حب يائس لم تصبه الأيام المضنية بوهن ... تلك الأيام التى قضيتها فى ظلال هجرانه لى ، وتنكبه عنى ، ونفوره منى .

وذات يوم سمعت أنه سافر إلى الأسكندرية للزواج من فتاة من أسرة محترمة ... وتوهج الحب فى قلبى ، وانقلب إلى شواظ من نار ... وقام فى نفسى ميل شديد إلى الانتقام ممن سلبنى قلبى ، وربطنى معه ، ثم ولى هارباً إلى الوجهة التى ليست وجهتى. فسافرت إلى الأسكندرية ، وعرفت البيت الذى سيظلل حبيبى ، فذهبت إليه ، ورأيت صاحبى مع عروسة جذلان وبفيض سعادة ، وتشرق الابتسامة فى فمه فى الجبهة النيرة من الحياة كأنه نسى أن هناك قلباً يلوع بحبه ، ويتعذب نيشق فى هوة سحيقة فى الجهة المظلمة البائسة من الحياة ... وأحسست بالعبرة تخنقنى ، وبكيانى ينهار كأنه جدار خاو ، وعدت أدراجى من البيت الذى سرق مصباح حياتى وتركنى أهيم فى الدجى وحدى ... إنه نكث عهده ، ولكننى ما زلت أحبه حباً عميقاً وأنا عارفة أنه سبب شقائى ، ولكننى لن أتنكب عنه ... أما أنت فلا أريدك تتعذب بسببى ، ولا تتجرع كأس الأسى مثلى ... وسأظل عاشقة لحبى اليائس حتى يضع الله حداً لحياتى التعسة .

وطفقت تبكى بدموع لم أتبين حقيقتها ... ثم قالت : — أعرفته ؟.. فأجبت : — لست غبيا إلى هذه الدرجة ... وامتلأ صدرى بالحقد على تلك العلائق التى تربط الإنسانية .

قلت : أتذكرين عندما التقينا ثانى مرة فى هذا المقهى ، وقلت : مالك ساهماً كأنك تفكر فى المستحيل ؟.. لقد أردت أن أصرخ فى وجهك : هذا حق ... فأنا الآن فى رحاب المستحيل. ذلك لأنى سمعت هاجساً يهجس بى أن حبك لى مستحيل ... لأن النوة التى صافت حياتى كانت قاسية كتبت على أن أسير وحيداً فى طريق غاص بالأشواك .

ومددت يدى فى جيبى وأمسكت بالدبلة وحطمتها بين أصابعى بقوة ... ثم رميت حطامها بعيداً ... ومعها أحلام قلب محروم .

غائب طعمة فرمان